

المقطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ - الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٩

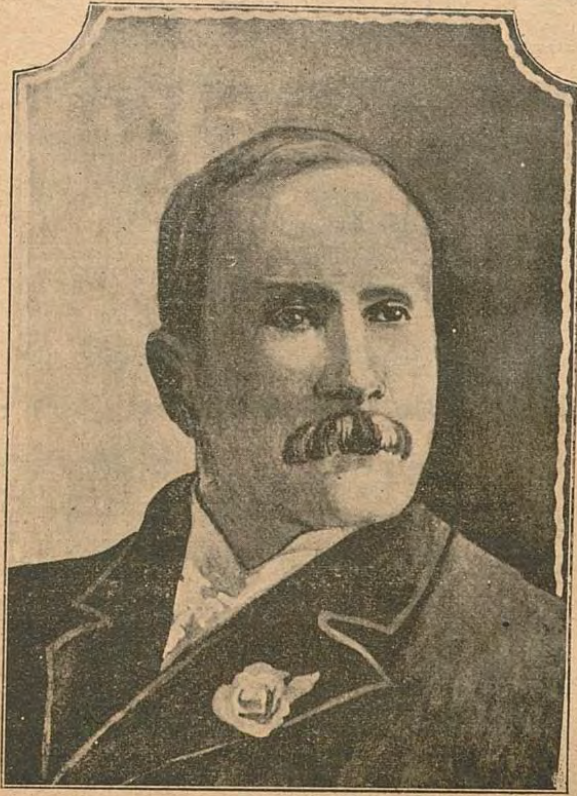
رجال المال والأعمال

جون رُكْفَلَر اغنياء اميركا

وصفنا هذا الرجل باغني اغنياء اميركا ونحن مرتابون في صحة الوصف الآن لثلاً يكون في طبقات تلك البلاد اناس زاد غناهم على غناه من العام الماضي الى هذا العام . فقد قُدِّرَتْ ثروته في العام الماضي بخمسين مليوناً من الجنيهات وبلغت ارباح شركة البنزول التي هو رئيسها ومالك اكثر اسهمها ستة عشر مليوناً من الجنيهات ولكن اميركا التي انشأتها من العدم وبلغت ثروتها الى هذا الحد لا يكبر عليها ان ترفع رجلاً آخر فوقه في سنة من الزمان ما دامت خيراتها وافرة وما دام ابناؤها في مقدمة الامم همة واقداماً

قلنا ان اميركا انشأتها من العدم والاولى ان نقول انه هو انشأ نفسه . ولد فقيراً مترباً لا يملك شروى نقير وابوه فلاح مغير فعمل بالفاس والمحراث الى ان صار عمره ست عشرة سنة وحينئذ ترك الزراعة وسار الى مدينة اسمها كليفلند لعله يجد عملاً فيها فدخل في احد المكاتب التجارية صانعاً وفتح عينيه وذهنه فرأى ووعى واستفاد خبرة ودُرْبَةً . قال بعد ذلك "اني لا انسى تلك السنين حين ابتدأت عملي في مدينة كليفلند صانعاً فتعلت كثيراً من اساليب ادارة الاعمال واهم ما استفدته ان العالم كبير وميدان العمل واسع . وكانت امالي كبيرة ومطامعي كثيرة ورأيت اني لا انال شيئاً منها الا بالتعب الشاق " . فكذلك ونعب ولم تنبسط المشاق همته ولا اقتصر على العمل بل قضى دقائق الفراغ في تهذيب عقله وتوسيع معارفه وكان بشكراً لانه وُلِدَ فقيراً فاضطر الى العمل والكسح وقد قال في هذا الصدد " ان الذين يولدون في المدن الكبيرة لا يضطرون ان يكافحوا كفاحنا نحن اولاد الارياف وهذا مما

يضعفهم ويقويننا ولذلك تجد اولاد الارياف الفقراء يزاحمون اولاد المدن الاغنياء ويحسون
محلمهم لانهم اقدر على العمل واصبر على المشاق وشظف العيش فلا يستطيع ابناء المدن الاغنياء
ان يجاروهم ولا ان يقفوا امامهم". وقد لا يصدق هذا القول على كل ابناء المدن اذا قولوا
بغيرهم من ابناء الاقاليم ولكنه يصدق عليهم كلهم اذا قولوا برؤسهم ابن الفلاح



جون روكفلر اغنياء اميركا

واول عمل تجاري عمله رَمَتْ (طوف) من الاخشاب اشتراه وسار به في نهر اوهميو
الى معمل خشب وباعه فيه فربح منه عشرة جنيهات فلما ذاق الربح جعل يفتش عن عمل آخر
يربح منه فنظر حوله يمينه ويسرة فلم ير الا المتاجرة بزيت البترول. وكانت تجارتها في بدايتها
وهي غير رابحة يقوم عليها الناس مدفوعين بشيأ الامل ويعودون بصفة المغبون. يحفر الواحد
منهم بئراً فيتدفق الزيت منه تدفقاً ويحسب نفسه ملك مقاليد الثروة فيعي الزيت في الآنية

وبعث به الى الاسواق فيباع بعضه ويرفض البعض الآخر لشدة التهايه وقد يغني منه زيد ويفتقر عمرو في وقت واحد فامعن نظره في هذا الامر ورأى بفكرته الوقادة انه اذا استطاع ان ينقي الزيت ويجعله خالياً من الخطر فهناك الربح الوافر ولكنه كان صفر اليدين لا يزيد راتبه في الشهر على خمسة جنيهات فلم ير سبيلاً امامه الا الاقتصاد فاقصد في نفقته ولم يكن ينفق على نفسه سوى نصف راتبه فعاش على جنيهين ونصف في الشهر في مدينة اميركية حيث اجرة العامل الصغير لا تقل عن ريال في اليوم وحيث الجنيه بمثابة الريال عندنا حتى اذا صار عمره احدى وعشرين سنة كان قد جمع من راتبه القليل راس مال صغير فاشترك مع شاب آخر اسمه هيوت وانجراً معاً مدة خمس سنوات فبلغ ربحه فيها ألفي جنيه

الى هنا سار ركفلر سير كثيرين من الشبان لانه لا يندران يجمع الشاب الف جنيه وعمره ٢٦ سنة اذا ابتدأ في العمل وعمره ١٦ سنة اما هو فكان يسعى الى غاية اخرى لم تبرح من باله وهي تنقية زيت البترول حتى يزول الخطر من استعماله . ولم يحذ حذو غيره من الذين كانوا يضاربون بابتضاع اسهم شركات البترول حاسبين انهم يغنون في يوم وليلة ولا شاركهم في آمالهم الفارغة بل بحث واتحن ودقق وحقق حتى اتصل الى طريقة لتنقية الزيت فصنع معملًا لتنقيته بالاشتراك مع رجل اسمه صموئيل اندروس فراج زيتهما المنقى رواجاً عظيماً حتى اضطر ان يفتح معملهما للعمل نهائياً وليلاً ليقوما بما كان يُطلب منهما . ثم بنيا معمل اخرى بما ربحاه من العمل الاول . ولما رأى المليون نجاحه المستمر عرضوا عليه اموالهم للاشتراك معه فاخثار اليهم عريكة واقربهم الى المسألة حتى اذا كانت سنة ١٨٧٠ صار ربحه كافياً لانشاء شركة مساهمة فانشأ شركة ستندرد اويل وكان رأس مالها مئتي الف جنيه وكان هو رئيسها واخوه وايم ركفلر نائباً له ورجل اسمه فلوجر كاتباً وامين صندوق

وكان لتنقية زيت البترول معامل اخرى كثيرة ولكن معامل ركفلر فاقتها كلها في نقاوة زيتها فقام عليه اصحاب تلك المعامل حسداً منه وقاوموه اشد المقاومة وحاولوا احباط مساعيه فلم يحفل بهم بل ظلت شركته تنقي الزيت وتزيد اساليب تنقيته اتقاناً . والناس يسألون عن نوع البضاعة لا عن صفة صناعتها فراج بترول شركته اي رواج حتى انيرت به قصور اوربا واسيا وافريقية ومدارسها وكنائسها وجوامعها وبيوت عامتها

وحالما حل مسألة تنقية البترول اهتم بمسألة نقله من مكان الى آخر وكان يُنقل من الآبار الى معامل التنقية في براميل رشاحة وفي عربات ثقيلة او على الاطواف في الانهر فصنع المركبات ذات الحياض لنقله ثم مد له الانابيب الحديدية في الارض ليجري فيها من نفسه .

وكان كثيرون قد اهتموا بمد هذه الانابيب فابتاع منهم حق مدها وحصره في شركته ووسع رأس مالها فجعله ٧٠٠.٠٠٠ جنيه

ثم رأى امامه مشكلاً آخر لا بد من حله وهو ان معاملة لم تكن حيث يسهل نقل الزيت المنقى منها الى مراكز التجارة وكانت معامل غيره تفضل معاملة من هذا القبيل فقصده ان يستأثر بالاسباب النقل حتى لا يستطيع احد مناظرته ونجح في ذلك . وقد اتهمه بعضهم بانه رشار رجال الحكومة حتى ميزوه على غيره وقيل بل اقنعهم اقناعاً بالحجة والدليل وهو الاقرب . ومهما يكن من ذلك فانه فاز باحتكار كثير من اساليب النقل واضطرت الشركات الاخرى ان تسلم له صاغرة وتحول عن مناظرته

وهذا الفوز العظيم وسع نطاق شركته وجعلها تنشيء لها مراكز في كل الولايات الكبيرة لبيع بنزولها واتسع نطاق هذه المراكز فصارت شركات محلية . رتبطة بالشركة الاولى المركزية وصار زمام زيت البترول في البلاد كلها بيد هذه الشركة . ولم تترك لاحد سلطة عليها فابتاعت السكك الحديدية والبواخر البحرية ومعامل الخشب والصفيح (التبنك) وكل ماله علاقة بزيت البترول ونقله حتى لا يكون قيادها بيد احد غيرها وقد زادت ارباحها من هذه الاضافات كما زادت من تنقية الزيت وبيعه فقد كانت تشتري برميل الخشب سنة ١٨٧٢ بسنة واربعين غرشاً فلما صارت تصنعه لم يعد يكافئها اكثر من اربعة وعشرين غرشاً وفي تستعمل في السنة ثلاثة ملايين ونصف مليون من البراميل فتوفر بذلك نحو ثمانمائة الف جنيه في السنة . وتعمل الصفيح لنفسها فتوفر اكثر من مليون جنيه في السنة لانها تستعمل ٣٦ مليون صفيحة . واعنت بنفايات البترول فصارت تصنع منها الشمع الابيض الجيد وزيت الآلات وانقصت نفقات التنقية ٦٦ في المئة بما استعملته من الاساليب الجديدة

ورأس مال هذه الشركة الآن ٢٢ مليوناً من الجنيهات وربحتها في السنة ١٦ مليوناً من الجنيهات فاذا حسب هذا الربح على معدل ٥ في المئة سنوياً فهو يقابل رأس مال لا يقل عن ٣٢٠ مليوناً من الجنيهات

ولجون ركفلر واخيه ولیم ولسترفلجر واخيه ولستر ارثشيلد اكثر اسهم هذه الشركة والشركات الاخرى المتعلقة بها وتبلغ حصة جون ركفلر من ذلك كله نحو خمسين مليوناً من الجنيهات وحصة اخيه عشرين مليوناً وحصة فلجمر واخيه سبعة عشر مليوناً وحصة ارثشيلد سبعة ملايين . وبلغ ربح جون ركفلر وحده ١٥ مليوناً من الجنيهات سنة ١٩٠٠ ولا نظن ان ربح بيت رثشيلد كله يبلغ هذا الحد . ويقال ان ثروته زادت ثلاثين مليوناً من الجنيهات بالاعمال

التي عملها المستر مورغان حديثاً

وهذا الغني الوافر الذي لم يسمع بمثله من سالف الدهر لم يصرف صاحبه عن بساطة المعيشة ولا جعله يعيش مثل كبار الاغنياء . ويعلم قراء المقتطف اسمه من هباته السنوية فهو وهاب الملايين لمدرسة شيكاغو وغيرها من المدارس والكنائس . ويضرب المثل بتقواه وقيامه في مدارس الاحد لتعليم الصغار دروساً من التوراة والانجيل . ومن اقواله الماثورة في احدى هذه المدارس في نيويورك "لا ضرر من السعي وراء الغني لان المال من اقدر الوسائل على عمل الخير وفي الاغنياء اناس اشرار كما في الفقراء اناس اشرار ولكن اكثر الاغنياء يحسبون انفسهم اثماء على اموالهم لكي ينفقوها لنفع ابناء نوعهم"

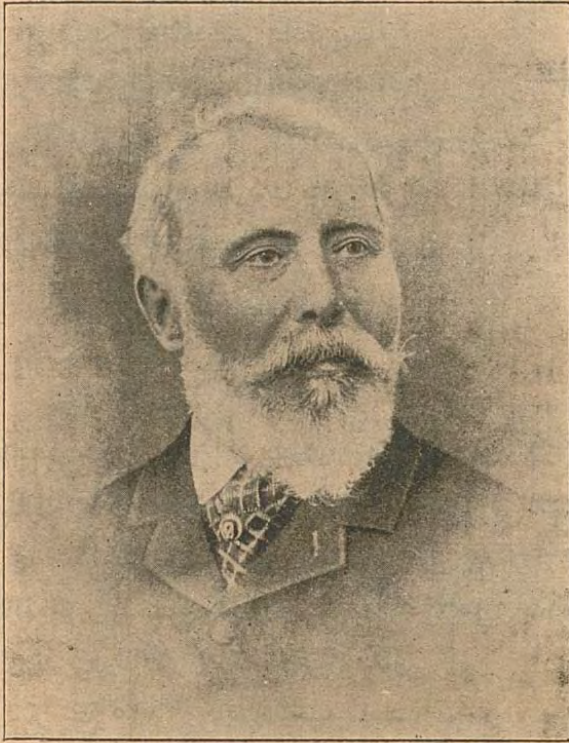
ويقوم المستر ركفلر باكراً كل يوم وبأكل قليلاً وينظر في اموره الشخصية ثم ينزل الى مكتب الشركة بدير اعمالها الى الظهراً كل قليلاً من الخبز واللبن لانه قبلما يأكل غيرها ويروض جسمه عند العصر بالمشي او بالركوب مثل سائر الناس ولا يظهر عليه ما يميزه عن عامتهم مع ان في يده مصالح الوف من العباد

لورد مشام

قد يرى القراء في سيرة ركفلر ما لا يستطيع احد منهم التمثل به فان الرجل نشأ في بلاد كبيرة غنية وجمع ثروته مما لا يوجد في بلادنا حتى الآن ووسعها بما في تلك البلاد من اساليب العمل واسباب النجاح فرائنا ان نشفع سيرته بسيرة رجل آخر جمع ثروته مما اصله من بلادنا من الصوف ومشافة الحرير وليسينيه وهو لورد مشام واسمه الاصلي المستر لستر وسنطلق عليه هذا الاسم الى ان نذكر ارتقاءه الى رتبة الاعيان فنقول

ولد المستر لستر سنة ١٨١٥ من عائلة وجيبة وقصد والده ان يدرس الدروس الدينية وبصير من خدمة الدين وترك له جدته املاكها مشروطة عليه ان يصير قسيساً . الا ان العصر الذي نشأ فيه كان عصر اختراع واستنباط . كانت الآلات البخارية في بداءة عملها وكان كبار الصناع مكبين عليها بتقنون ويتوسعون والجمهور يحسب انها ستعمل العجائب فلم يكذب يخرج من المدرسة الصغيرة حتى اعرب عن رغبته في التجارة والاعمال الصناعية فدخل محل احد التجار وسافر الى اميركا مراراً وكان السفر اليها طويل الشقة بالسفن الشراعية لا يقدم عليه كثيرون فعرف من احوالها ما لا يعرفه الا قليلون . ولما صار له من العمر ٢١ سنة اشترك

مع اخيه في معمل صغير لمشط الصوف وغزله ونسجه فرأى مماشط الصوف لا تفي بالغرض لان فيها خللاً ونقصاً من وجوه كثيرة فجعل يفكر في اصلاحها واول استنباط استنبطه مكوك لنسج الحرير المعرق وآلة اعمل اهداب الشيلان . ثم عكف على اصلاح مماشط الصوف وهر اهم اعماله وكان كثيرون قد حاولوا اصلاحها فانفقوا اموالهم واضاعوا اوقاتهم عبثاً ولا غرابة في اهتمامهم الشديد بهذا الامر لان مشط الصوف اهم ما يكون في صناعته ومن استطاع ان يستنبط آلة تمشطه جيداً ربح منها الالوف المولفة



لورد مشام

ولما شرع في ذلك كان عمره ٣٧ سنة وكان الصوف يمشط باليد ومشطه بها كثير النفقات وشديد الضرر على الماشطين ولم يكن احد يظن انه يمكن ان يصنع آلة تمشط الصوف كما يمشط باليد تماماً لكثرة الذين حاولوا ذلك وفشلوا . وكان رجل اسمه دونسترب قد صنع مشطه واخذ امتيازاً بها ولكنها لم تف بالمراد فرأى لسترانه يمكن اصلاحها حتى تفي

فاشترى من صاحبها نصف حقه في امتيازها بالني جنيه ثم اشترى منه النصف الثاني بعشرة آلاف جنيه واصلح هذه الآلة كثيراً حتى وفّت بالغرض المطلوب حاسماً انه هو ودونسترب المخترعان الوحيدان لها . ثم بلغه ان مخترعاً آخر اسمه كارتريت اخترع آلة مثلها تماماً فبيلها ونال الامتياز بها واعطاه البرلنت الانكليزي عشرة آلاف جنيه اعترافاً بفضلها لكن الآلة لم تشع لانها جاءت قبل زمانها فزاد اعجاب لسترب به حتى عزم ان ينشيء له تذكاراً عظيماً فانشأه كما سيبي

ثم اصلح هذه الآلة ونوعها فشاع استعمالها حالاً وازداد اليها آلة اخرى وهي آلة ندف الصوف القصير قبل مشطه فقامت الماشط البخارية مقام المشط باليد وهبطت نفقات مشط الرطل (الليبرة) من شلنين وثلاث بنسات الى اربع بنسات وهذا هو السبب في رواج تجارة الصوف الانكليزية والاستوائية وفوائد ذلك تقدر بالملايين الكثيرة كما لا يخفى . ولكن المناظرين لم يدعوه يهنأ بثمار اختراعه فادعوه ورافعوه الى المحاكم ولا سيما رجل الزامى اسمه هيلن ففاز لستر عليه من بعض الوجوه وفاز هو على لستر من وجوه اخرى واخيراً رأى لستر ان نفقات المحاكم والمحامين قد تزيد على ما ينتظره من الربح فاشترى حقوق هيلن بثلاثين الف جنيه ووضع ضريبة الف جنيه على كل آلة يستعملها غيره وانشأ هو تسعة معامل للصوف خمسة في انكلترا وثلاثة في فرنسا وواحد في المانيا فربح اموالاً طائلة جداً وجمع ثروة وافرة من هذه المعامل وغيرها لانه صنع آلات اخرى لعمل المخمل وندف القطن

ودخل مخزناً في لندن ذات يوم فرأى كثيراً من مشاققة الحرير ولم يكن قد رآها قبلاً فقال ما هذا فقيل له مشاققة الحرير فقال وماذا تصنعون بها فقيل له انها نفاية لا تصلح لشيء . فاخذ قليلاً منها بيده وفحصها وشمها وكانت وسخة فذرة مخلوطة بفضلات كثيرة مما ينفي من معامل حل الحرير كالانرايق المنقوبة والديدان الميتة والزيزان الفاسدة وورق التوت وبعير الدود وما اشبه مما يسمى مواتة وليسيناً

ولم يكن يعرف شيئاً من امر الحرير وتربية دود القز فطلب ان يباع تلك النفايات فبهت صاحبها من ذلك وباعه اياها حالاً فذهب بها الى احد معاملهم ووضع بعض المشاق في ممشطة الصوف ومشطتها بها فتخلصت خيوطه بعضها من بعض وتوازت وصار يسهل كسب الحرير منها ورأى للحال مجالاً واسعاً للعمل والكسب فدرس صناعة حل الحرير درساً مدققاً بالنظر والعمل وظلّ عشرين سنة يبحث ويصنع الآلات ويغيرها ويبدلها حتى اهتدى الى آلة وافية بالمراد ولكن بعد ان اففق عليها ثروته كلها ثلثتة وستين الف جنيه ولم يبتدىء ربحه منها

الاً سنة ١٨٦٤ . ثم صنع آلة لعمل المخمل من الحرير وقد قال عنها اني لما كنت احاول عملها خطبت خطبة في جمعية غلاسكو الفلسفية قلت فيها ان البعض يهتمون بسباق الخيل في دربي لان الرهان فيه يبلغ اربعة آلاف او خمسة آلاف من الجنيهات ولكني انا مهتم الآن باختراع آلة اذا نجحت في اختراعها ربحت منها خمسين الف جنيه كل سنة وقد حاول غيري اختراعها منذ خمسين سنة الى الآن فلم يفلحوا . ثم لما اخبرت الذين كانوا يسمعون خطبتي ان هذه الآلة يراد بها عمل المخمل ضحكوا عليّ لكنني عملت الآلة بعدئذ انا ورجل آخر ورجعنا منها يزيد الان على خمسين الف جنيه في السنة . وقد كانت الصعوبة الكبرى في ابقاء السكن ماضية لقطع زغب المخمل وكنت مرة انظر من كوة مكنتي فرأيت مجلخاً يجليخ مقراضاً فقلت في نفسي انني اذا وضعت في النول حجر جليخ اصغر من هذا لتجلىخ السكن عليه بقيت ماضية لقطع النسيجين اللذين الخمل بينهما فحزبت ذلك فرايته وافيًا بالمراد وهذه واحدة من مصاعب شتى تغلبت عليها انا وشريكي في مدة سبع سنوات

واكتشافه هذا اعاد صناعة نسج المخمل الى انكثرتا . ويصنع في معامل الان كل انواع المخمل وكل نسيج له خمل حتى النسيج الذي يشابه جلد الفضة والبسط المخملية على انواعها والمنسوجات الحريرية على انواعها وكلها من مشاققة الحرير التي كانت تطرح من المعامل كأنها زبالة ولما رأى ان عمله ينجح النجاح التام حوّلته الى شركة مساهمة رأس مالها مليون و ٩٥٠ الف جنيه لكي يشرك غيره معه في عمله ورجع واشترى ارضاً مساحتها ٣٤ الف فدان بمليون من الجنيهات وقصراً قديماً دفع ثمنه وثنن الحراج التي حوله ٤٧٥ الف جنيه وبني بناء فخياً تذكّاراً لكارتريت مخترع آلة النسيج انفق عليه ٤٧ الف جنيه و ٥٠ جنيه

واعترفت الحكومة الانكليزية بفضلها على صناعتها فمنحته لقب لورد عام سنة ١٨٩١ واعترف اصحاب معامل الصوف بفضلها فصنعوا له تمثالاً كبيراً نصبوه له في روض بردفورد وهو المخترع الوحيد الذي نُصب له تمثال في حياته

وقد كان الصوف يُجَزَّز ويمشط ويفزل ويحاك في هذا القطر والقطر الشامي منذ الوف من السنين ولكن ما من احد منا خطر على باله ان يصنع آلة لمشطه وغزله . وكانت المشاققة والبسبين والقشيرة وما اشبه من نقايات الحرير ترمى او تبيض ويغزلها النساء بايديهن ولم يهتم احد منّا بعمل آلة لتنظيفها وغزلها . وبمثل ذلك يبين الفرق بين اقدار الرجال ومبالغ الهمم . واذا اغتنى هذا الرجل وورقي الى مراتب الاشراف فيكون قد جوزي جزاء العامل المستحق عند من يعرف اقدار الرجال

لورد دفرن



لورد دفرن ومن لم يسمع هذا الاسم من رجال هذا القطر والقطر الشامي ومن لا يعلم
 أن به وبأمثاله قامت المملكة الانكليزية ونشرت راياتها في الخافقين
 ولولا رجال مثل دفرن ما درت بناء المعالي كيف تبني الممالك
 ولد في الحادي والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٢٦ من بيت كبير من اشراف ايرلندا
 اصله من اسكتلندا وابوه بارون دفرن كان من ضباط البحرية وتوفي شاباً وامه لادي دفرن
 كانت من اشهر نساء عصرها وهي من عائلة توماس شريدن المشهور ببلاغته فورث من

اييه حصافة الاسكتلنديين وحسن نظرهم في العواقب ومن امه ذكاء الارلنديين وبلاغة اساليبهم في التعبير وزاد على ذلك ان دَرَسَ وتربى في احسن مدارس الانكليز في اتن واكسفر ولم يفق اقراءه في درس العلوم والفنون ولكنه فاقهم في درس احوال بلاده ايرلندا واسباب انحطاطها فتأهل بذلك للنظر في احوال هذا القطر وبلاد الهند لما دُعي اليهما كما سيجي وورث لقب عائلته وعمره ١٥ سنة ثم جعل من لوردات الانكليز سنة ١٨٥٠ مجلس الاعيان ورحل الى ايسلندا سنة ١٨٥٥ وكتب رحلته في رسائل بليغة كان لها اعظم وقع في النفوس فوضع في الطبقة العليا بين الكتاب لكنه لم يتخذ الانشاء حرفة له ولو بقي مشهوراً بحسن الشائ

ولما حدثت المذايح في سورية سنة ١٨٦٠ وخاف الانكليز من ان فرنسا تحلها وتبقى فيها دواماً فتضعف تجارتهم فيها ونقوم في طريقهم الى الهند بعثوا باللورد دفرن ليقنع غيره من مندوبي الدول الاوربية بوجوب جلاء الجنود الفرنسية عن الربوع السورية. ويظهر لنا الآن انه اعتمد على آراء الكولونل تشرشل وبعض المراسين من الانكليز والاميركان والكولونل صديق حميم للدروز والمرسلون ناقون من الموارنة لما نالهم منهم من الاضطهاد فافهموا ان ما حدث في سورية ناتج عن ضغائن قديمة بين النصارى والدروز لا غير وانه اذا غلب الدروز عقاباً صارماً او بقي الفرنسيون في سورية قوي النصارى على الدروز وعادت الفتنة وتكررت المذايح فاقنع اكثر رفاقه المندوبين بصحة ما اقتنع به. ولكن ان كانت مذايح لبنان ناتجة عن ضغائن قديمة بين النصارى والدروز فما سبب مذبحه دمشق ولا دروز فيها وكيف تتهمد الجنود المنظمة بحماية نصارى دير القمر وحاصبيا وتستلم اسلحتهم منهم ثم يبيع ذبحهم ذبح الغنم ولم يكن لدروز الارض ان يخالفوا امر الجندي واحد

ولا شبهة عندنا في ان اللورد دفرن اقتنع بصحة ما قيل له وان الذين افنوه بذلك كانوا مقتنعين بصحة اقوالهم وآرائهم فلم يخاتلوه ولا خئل احداً ولو اهتدى الى وجه الصواب ما وصلت بلاد الشام الى ما وصلت اليه في هذا الزمان ابناؤها منتشرون في مشارق الارض ومغاربها مع ان بلادهم تكفي اضعاف اضعافهم

قالت جريدة التيمس عند كلامها على وفاة لورد دفرن ان حصافته هي السبب في نجاح لبنان وفي خروج الجنود الفرنسية من البلاد السورية. اما خروج الجنود الفرنسية فلا شأن لنا فيه ولا شبهة في ان الاكثرين يشكرونه عليه. واما نجاح لبنان فوهم في وهم وكيف ينجح جبل صخري سلخت عنه السهول والمدن فخرم موارد الزراعة والتجارة او جعل فيهما تحت رحمة غيره

ولولا الرزق الذي يجده 'ابناؤه' في المهاجرة ولولا الهمة التي لهم حتى يكسروا الصخور ويزرعوا
كرومهم في فنتائها مات أكثرهم جوعاً

ورأت الحكومة الانكليزية حينئذٍ انها نالت به ما تمتت وهو خروج فرنسا من بلاد الشام
واخماد الفتن التي تدعو الى عودتها اليها فحسبته بين رجالها المعدودين الذين نثقي بهم نواب الدهر
وتزوج بعد عودته من بلاد الشام سيدة فاضلة كانت اكبر معين له في اشغاله السياسية في
كندا والهند وطرس برج والقسطنطينية ورومية وباريس. وبذلكها نساء الهند بالمدح والثناء
وجعل حاكماً عاماً على بلاد كندا سنة ١٨٧٢ فاحكم عرى المودة بين تلك البلاد والبلاد
الانكليزية بما اظهره لاهلها من الحب والولاء والاهتمام بمصالحهم وترقية شؤونهم فكان مثلاً
للوالي الحكيم الذي يعز زسلطة مولاه باصلاح شأن ولايته وله في ذلك كلام بليغ نعر به عن
جريدة التيمس ليكون النموذجاً للولاة قال : ان اسمي ما ارمي اليه ان اخدم مولائي الملكة في
المنصب العالي الذي اقامتني فيه واحافظ على ما لها من المقام السامي في هذه الولاية واتمثل
بمثالها المجيد في قيامي بهمهم منصبي واكتسب ثقة اهالي كندا بقيامي على خدمتهم واجرائي
العدالة بينهم من غير تشيع ولا تحزب . وان كان صدق ولائك لبلاد يبرهن بحبك لها من
كل قلبك ونظرك الى كل واحد من اهاليها كأنه صديق حميم لك واهتمامك بخيرها ونجاحها
اهتمام ابنائها بهمها وافتخارك بكل ما فيها بمنظرها واقليمها واداب اهليها واخلاقهم وما يسرهم
وبرضهم فحي كندا امر مقرر لا يمكن ان يرتاب فيه احد

وكان خطيباً مفلقاً شديد العارضة قوي الحجة يخنل عقول سامعيه بفصاحة لسانه لكنه
لم يكن يلجأ الى الادلة الخطائية بل كان يعتمد على دليل العقل والاختبار

ولما ظهرت مهارته الادارية ودهاؤه السياسي في كندا عرض عليه مسند السفارة في
طرس برج عرضه عليه اللورد بيكنسفيلد زعيم المحافظين وهو من الاحرار لكنه قال له وقتما
عرض عليه هذا المنصب اننا لا نقصد ان نخاز الينا وتعهد سياستنا في مجلس الاعيان. فقبل
المنصب ومضى الى طرس برج وكان النفور مستحكماً بين روسيا وانكلترا بسبب تشيع انكلترا
لتركيا وحرمانها روسيا ثمره حرهما مع تركيا فبذل جهده في تضييد الجراح وازالة البغضاء
الى ان انتقلت عقدة المسألة الشرقية من طرس برج الى الاستانة فنقل سفيراً اليها سنة ١٨٨١
وكانت الليالي حبالى بالمسألة المصرية ولا بد لها من سياسي محنك يراقب احوالها من رجل
بده من حديد لكنهما في كف من المخمل فأرسل الى مصر بعد واقعة التل الكبير فنظر في ما
بقتضيه اصلاحها ولا يبعد ان يكون قد اعتمد على آراء الذين استخلصهم من سكانها وانشأ

تقريره المشهور مشيراً فيه بما رآه من طرق الإصلاح . وقد اطلعنا على نسخة منه سقيمة الترجمة جداً وهناك بعض ما جاء فيها عن المعارف بعد تنقيح قليل

”من الغني عن البيان ان كل مساعينا لمصر ادارة حسنة تحبب ما لم ننظر نظراً دقيقاً في كل فروع المسائل التي تتألف منها تلك الادارة ونخصص كلاً منها بما يلائمها فليس للمصريين حق في التشكي من وجود عدد وافر من الاوربيين في الادارات اذا كان من المستحيل في الوقت الحاضر وجود وطنيين ناثلين كل الصفات المطلوبة للقيام بالمصالح المسلم زمامها للاجانب . فان كنا نرغب في التخلص من هذا التشكي الشرعي فلا وسيلة لذلك الا بأن تأخذ الحكومة المصرية بعزم ثابت وطوية سليمة امر تهذيب الجيل الجديد

فالمدارس الموجودة الآن في القطر المصري تنقسم كما يأتي

اولاً الجامع الازهر . وهو مدرسة جامعة يدرس فيها علم الكلام والفقه والنحو والمنطق وآداب اللغة العربية وفيه نحو ثمانية آلاف طالب وثلاثمائة استاذ

ثانياً المدارس التي انشأها مرسلو الاجانب ونحلهم وبلغ عددها ١٥٢ مدرسة تحوي ١٢٢٤٧ طالباً منهم ٦٤١٩ او ٥٢ في المئة من المصريين . وخزينة الحكومة تدفع مبيعات سنوية لبعض هذه المدارس

ثالثاً مدارس الحكومة ونقسم على الوجه الآتي

(١) الكتاتيب البسيطة المشيدة في المدن والقرى وبلغ عددها ٥٣٧٠ وفيها ١٣٧٥٥٣ طالباً او جزء من ٤٠ من عدد سكان القطر ويعلم فيها القراءة وحفظ القرآن (الشريف) غيباً ويزاد في بعضها تعليم الخط والحساب

(٢) المدارس الابتدائية ويوجد منها ٢٧ تحوي ٤٦٦٤ طالباً واحدة منها في العاصمة ونفقتها داخلة في ميزانية نظارة المعارف وفيها ٦٤٨ طالباً وهي مثال للمدارس الموجودة والتي يراد انشاؤها في مراكز المديرية والقرى الكبيرة ومدة التعليم فيها اربع سنوات في خلالها يتقوى الطالب في قراءة القرآن (الشريف) وكتابة اللغة العربية وعلم الحساب وفي غضون السنة الاخيرة منها يدرس مبادئ التاريخ والجغرافية ومبادئ لغة اجنبية (انكليزية او فرنسوية او المانية) حسب رغبته والخط الاوربي ويترقى من هذه المدارس الى المدرسة العليا (التجهيزية) في القاهرة ومن هذه يتدرج الى مدرسة الصنائع والفنون

ونفقة بقية المدارس الابتدائية من ايراد بعض الاطيان في الوادي وهي التي وفيها حضرة الخديوي السابق لهذه الغاية وتؤدي من ادارة الاوقاف والاحسانات الخصوصية

(٣) المدرسة العليا في مصر وفيها ٢٩٢ طالباً يتدرج منها الى مدارس الصنائع والفنون ومدة التعليم فيها اربع سنوات يتعلم الطالب فيها لغة اجنبية والعربية والرياضيات والطبيعات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والتاريخ العام والجغرافيا والخط العربي والافرنجي والتصوير

(٤) مدارس الصنائع والفنون وهي

(١) مدرسة الطب وفيها ١٧٦ طالباً ويلحق بها مدرسة الصيدلية وطلبته سبعة ومدرسة القوابل وطالباتها عشرون (مديرها فرنسوي)

(ب) مدرسة الفنون وفيها خمسون طالباً

(ز) مدرسة المساحة وفيها ٣٩ طالباً

(ث) مدرسة الفنون والصنائع وفيها ٥١ طالباً (مديرها فرنسوي)

(ج) مدرسة الحقوق وفيها ٣٧ طالباً (مديرها فرنسوي)

(ح) مدرسة الالسن وفيها ٢٣ طالباً (مديرها فرنسوي)

(خ) مدرسة المعلمين وفيها ٦٠ طالباً (مديرها فرنسوي)

(د) مدرسة العمال وفيها ٧٩ طالباً وهي تحت ادارة مدرسة الفنون والصنائع ويدخلها تلامذة المدارس الاولية الذين لم تظهر منهم اهلية للمدارس العالية

(ذ) مدرسة العميان والخرس وفيها ٧٥ طالباً من الجنسين

(ر) مدرسة البنات وكان هنَّ سابقاً مدرستان احدهما لعائلات الذوات والثانية

لعائلات الفقراء لكنهما اندمجنا معاً وفيها ٣٠٠ طالبة

(ز) المدرسة العسكرية في القاهرة (مديرها فرنسوي)

(س) المدرسة البحرية في الاسكندرية

فاذا امعنا النظر في هذا البناء الواسع الجامع مشتملات التهذيب المتوج بالجامع الازهر المنتشر صيته في آفاق الارض خيل لنا ان المصريين هم الشعب الاكثر تعلماً على سطح الكرة ولكن من نكد الطالع نرى الحال بالعكس فالولد المصري يبلغ الحلم صغيراً وله قابلية خاصة لتعلم اللغات والرياضيات لكنه متى وصل الى درجة محدودة في التقدم لا يمتشي نمو عقله يمتشي نمو جسمه في ادراك العلوم العالية وان الزواج الباكر هو احدى العلل الرئيسة التي تقطعه عن اطراد رضاغة البان المعارف وكم من الطلبة تراهم جالسين على مقاعد التعلم وهم حاملون على مناكبهم احمال الزواج وان ضعف البصر مانع آخر لنجاحهم وهنالك ايضاً علة تجب مداواتها فانهم يستخدمون في التعليم قوة الذاكرة الى حد الافراط

ويعملون عن تمرين بقية القوى العقلية . وطريقة التعليم في الجامع الازهر جافة وغرومها في العقول عقيمة لا تُنتج فائدة ولا نتاجاً حين العمل

وقد انبغ تليد من الفرق الاولى في مدارس الحكومة بانتهاء مدة دروسه الى درجة تؤهله للانتقال الى مدرسة اعلى على انه ينتقل اليها لينوب مناب الخارج منها ويملاً الفراغ فتكون النتيجة انه يباشر دروساً عالية حالة كونه لم يتم دروسه الابتدائية

وفي اوربا ٤٩ شاباً مصرياً مرسلون من مدارس الصنائع والفنون لاتمام دروسهم والحكومة المصرية تنفق على اربعين منهم والتسعة الآخرون ينفقون على انفسهم وهم موزعون كما يلي : في فرنسا ٤٧ . في انكلترا ١ . في سويسرا ١ . و ١٤ منهم يتعلمون الطب . و ١٠ الحقوق . و ٢ الهندسة . و ٢ الهندسة الآلية . و ٨ يتجهزون للدخول في مدرسة البيطرة . و ١٣ يتجهزون للدخول في مدرسة الطب

فالمدرسة العليا (الحاوية ٢٩٢ طالباً) هي الوحيدة التي يؤخذ منها التلامذة لمدرسة الصنائع والفنون وهي غير كافية لسد الطلب ولكن يمكن سد هذا الخلل مؤقتاً باخذ تلامذة مدرسة الصنائع والفنون من تلامذة المرسلين الاجانب لانهم انجح من تلامذة مدرسة الحكومة لكن الوزارة عارضت ذلك حتى الآن بقولها ان تلامذة مدارس الاجانب لا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون باقي الفنون . وبما ان مدارس الصنائع والفنون ومدرسة المساحة ومدرسة الصنائع ذات بغية واحدة اعني اخراج مهندسين واليين فلربما افاد ادماجها في سلك واحد تحت ادارة واحدة

ومدرسة الحقوق التي يجب ان ينتقى منها القضاة وارباب المجالس مشيدة على اساس ملائمة لمقتضيات القطر . وبما ان المجالس الوطنية والمجالس العدلية من الامور الكثيرة الاهمية فيجب توسيع هذه المدرسة بزيادة عدد اساتذتها وانتقاء عدد وافر من تلامذة مدارس الحكومة والاجانب وادخالهم فيها

ويجب تنظيم مدرسة اللغات على اساس يوصل الى تخريج العدد الاكبر من المترجمين والمستخدمين الثانويين لمصالح الحكومة فان اكثر المترجمين الرسميين في الوقت الحاضر من السوريين الذين برعوا بسبب حسن التعليم الذي تلقوه من مدارس المرسلين الاميركان والفرنسيين والالمان في سوريا

وقد تقدم عهد الكتب المستعملة في مدارس الصنائع والفنون وما ذلك الا لقدم ترجمتها ونشرها في اللغة العربية

ومما يحتاج اليه القطر مدرسة زراعية لانه زراعي صرف فمحصولاته تبلغ سنوياً نحو ١٥ مليون جنيه ولا ريب ان هذا الابرار ينمو جداً اذا استخدمت الطرق العلمية في التسبيح وتعاقب المزروعات . وطلبة هذا العلم المنتقون من اصحاب الاطيان في المديرية يستطيعون تمرين انفسهم واختبار دروسهم في الدوائر الزراعية الواسعة كالدائرة السنية والدومين

ومن اهم ما يحتاج اليه مدارس الحكومة مفتشون مهرة فاذا عيّن هؤلاء تحت رئاسة مفتش عام بارع زالت اكثر عيوب الطريقة المستعملة الآن على انه ولو تعين هؤلاء ما امكنهم ان يراقبوا كل مدرسة الا مرة في السنة لان المدارس في القطر تزيد على ستة آلاف . ويكون من واجبات المراقبين ان يلاحظوا تعيين الاساتذة ولا يقبلوا غير البارعين منهم وان يراقبوا امتحان التلامذة ولا يدعوا تليذاً ينتقل من فرقة الى اعلى منها او من مدرسة الى اسمى منها ما لم يتحققوا انه بلغ ما يؤهله لذلك . ويكون من خصائص المفتش ان يرفع عن عائق الحكومة نفقات الذين لا يتبين له ان عندهم اهلية لتلقي العلوم العالية ومن شؤون المفتش ايضاً ان يزور مدارس الاجانب ليضيف الى علومها علوماً اخرى من شأنها ان تؤهل تلامذتها للدخول في مدرسة الحكومة العليا او في مدارس الصنائع والفنون . فان لم تكن طريقة التفيش حسنة فكل القوانين والترتيبات مهما كانت هيئتها علمية ودقيقة تعتبر عديمة الجدوى وبما اني شاهدت عياناً النجاح التام الذي ناله البلغار والارمن في مدرسة روبرت الكلية

بحوار الاساتذة اراني شديد الميل لتحصيل مثل تلك النتائج بادخال سننهما في القطر المصري واخل ان امل التقدم ضعيف ما دام العامة تتعلم اللغة الفصحى العربية لغة القرآن كما في الوقت الحاضر ولا تتعلم اللغة العربية الدارجة لان نسبة اللغة المصرية الدارجة الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني الى اللاتيني واليوناني الحديث الى اليوناني القديم . وعربية الفلاح لغة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها . واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الضرورية للحصول على النتائج الفعلية من المدارس العديدة التهذيبية التي اشترت اليها يستمر الجيل الجديد كسابقه غير صالح لخدمة وطنه سواء كان للقيادة في العسكرية او في الصنائع او في الخدمات العمومية ونظّل عبارة "مصر للمصريين" كما كانت اسماً بلا مسمى . انتهى

وعاد من مصر الى الاساتذة وكأنه قضى المهمة التي اقيم لها فيها على اتم المراد فانعمت عليه الملكة بمكدرارية الهند فمضى اليها سنة ١٨٨٤ واقام فيها الى سنة ١٨٨٨ ويقال ان تلك السنوات الاربع كانت اكثر ايامه اشتغالا فسكن ما في بلاد الهند من الاضطراب لانه جرى في الطريقة الوسطى بين الوطنيين الطالبين حكومة نيابية كالحكومة الانكليزية وبين الانكليز

الطالبين ان لا يعطى الوطنيون حقاً من الحقوق النيابية . وارضى المسلمين من غير ان يغيظ
 الهنود وعزز التخوم الشمالية الغربية و اضاف مملكة برما العليا الى الاملاك الانكليزية . واهتم
 زوجته لادي دفرن باحوال النساء وبترغيب الطبيبات في الذهاب الى الهند لتطبيهن . ونعم
 اللغة الفارسية وهو هناك لكي يخاطب الفرس بها . ثم لما استعفى من حكمدارية الهند منح لقب
 مركيز دفرن وآفا . واسم آفا هذا اسم قديم لبلاد برما التي ضمها الى السلطنة الانكليزية .
 وجعل سفيراً في ايطاليا فسوئ المسائل التي بين ايطاليا وانكلترا في ما يتعلق بالسودان الشرقي
 ونقل في اواخر سنة ١٨٩١ الى باريس فبقي فيها الى سنة ١٨٩٦ وخيف من وقوع الخلاف
 بين انكلترا وفرنسا في هذه المدة على مصر وعلى سيام واتفقت فرنسا وروسيا والمانيا على اليابان
 في الحرب الصينية اليابانية فخافت انكلترا من العتب بمصالحها في الشرق الاقصى واتفقت
 فرنسا والمانيا على انكلترا في مسألة النيجر في افريقية فكان له اليد الطولى في حل هذه المشاكل
 السياسية على ما فيها من التعقيد . ومنح وهو هناك لقب حارس المدن الخمس ولما استعفى من
 سفارة باريس سنة ١٨٩٦ عاد الى ارلندا ولكن لم تصافه الليالي في اخريات ايامه بل نضت
 عيشه فقتل ابنه البكر في حصار لادي سمث وبان خلل كبير في شركة مالية كان له علاقة
 كبيرة بها فحسر فيها امواله وذلك كله مضافاً الى متاعب الشيخوخة وفقد السمع هدم ما بقي
 فيه من القوة فتوفي بعد مرض طويل في الثاني عشر من فبراير وحالما بلغ نعيه ملك الانكليز
 بعث بتلغراف التعزية الى لادي دفرن بقول فيه

” اننا بالاخلاص التام نشاركك في خسارتك التي لا تعوّض “

وبعث برنس اوف ويلس وزوجته يقولان ” اننا باشد الاسف سمعنا عن وفاة زوجك
 العزيز فحزننا معك ومع عائلتك ونقدم لك تعزياتنا القلبية “

وارسل دوق كنوت الى ابن لورد دفرن يقول ” لقد حزناً حزناً شديداً انا والدوقة واني
 حزين لمصابك ومصاب لادي دفرن وارجو ان تجد صبراً على هذا الخطب الفادح “

ووردت تلغرافات التعزية من لورد سلسبري ودوق ارجيل ولورد روزبري وغيرهم
 وقالت جريدة التيمس في تأيينه ان خدمته لبلاد لم يسبق لها مثيل في تاريخ انكلترا فانه
 لم يحدث ان انساناً واحداً كان حاكماً لكنداً وحاكماً للهند وسفيراً في اربع سفارات كبيرة ...
 ثم لما آن الاوان ليستقيل من الخدمة ويستريح من عناء الاشغال لم يكن سفير ولا حاكم احق
 منه بتلك الراحة . ولولا ما نقص به عيشه في اخريات ايامه لكانت سعادته تامة ... وقد
 شمل الحزن عليه السلطنة الانكليزية لانه كان من انفع رجالها وانجبههم واعلامهم همه

عروسة النيل

الفصل الثامن

نزل حيرام الى دار المنزل فوجد كبار الخدم جالسين يصطلون ويتسامرون وبينهم رستم الجوسي وبعض اتباع هاشم وكان كاتب اوريون يحادثهم بما اتفق لسيدوه من الوقائع حين كان في القسطنطينية وما صادفه من الحظوة في عيون جلّة القوم فيها والباقون يصغون الى حديثه ويتوقون الى استماع المزيد

ولما خالت باولين ان الجو خلا لها انسلت في الدار واومأت الى حيرام فتبعها وسارا الى غرفتها فعمدت الى صندوق فتفتحه واخرجت عقداً من الجوهر في وسطه زمردة كالجوزة حجماً وكالشمس لمعاناً فامرت حيرام ان يقتلها من مكانها فعالجها بمديته حتى نزعها واخذ يقابلها في يديه وباولين تعبد على مسمعه ما امرته به ثم اشارت اليه بالانصراف واقفلت الباب واخذت تستعد للرقاد ولم يكن الا كلاً حول ولا حتى سمعت قرعاً خفيفاً فهبت مذعورة وقالت من بالباب — حيرام

فاصرعت وفتحت الباب وسأله عن سبب عودته فاخبرها ان الباب الصغير الذي جاء به والذي يؤدى الى الدار موصل وان لا يستطيع الخروج اذ هو لا يعرف مخارج البيت ومدخله فخارت باولين في امرها ثم القت قناعاً على راسها وقالت

— اتبعني على مهل فاذا وجدنا المطبخ فارغاً استطرقنا منه الى القاعة وقد نستطيع الخروج من الباب الكبير لان بعض الخدم يبيتون في المنزل ولعلمهم لا يزالون في الدار فاذا بلغناه صرت على هدّى واحذر الكلب الذي امام دار التحف فهو عقور ومقى اوامأت اليك بيدي نقف مكانك . فشيئا حذرين الى المطبخ فالقاعة حتى بلغا دار التحف فوجد بابها مفتوحاً فنواريا ووقفت باولين تسترق السمع وقلها يخفق وجلاً وذهولاً فابصرت رجلاً خارجاً من دار التحف فتفقتة واذا به اوريون يتبعه كلبه الذي اشارت اليه فهجم هذا عليهما فمدت يدها اليه ودعته باسمه بصوت خافت فكف عن النباح واقبل اليها واطرق راسه ولم ير اوريون الا اثنين فاقتل الباب ومضى لسبيله وظلت باولين كأنها تفكر في وسيلة للخلاص وسادت السكينة على البيت وكاد القمر يغيب ثم سمعت جلبة وهريركب عقبه استغاثة امرأة في اشدّ الآلام فذعرت لهذا الصوت ثم رأت اوريون يجري والكلاب وراءه وهما يعدوان حتى وصلا الى حديقة امام

المنزل فغابا فيها عن عينيها فالتفتت الى حيرام وقالت له لقد حانت الفرصة فاتبعني واندفعت تجري امامه ولكنها لم تسر بضع خطوات حتى عثرت رجلها بشيء فارعدت فرائصها وتاملته فاذا امرأة منطرحه على الارض لاحراك بها فهمت بالفرار لكن رقة قلبها تغلبت على جنبها فوقفت وامرت حيرام بالخروج واومأت الى الباب الكبير ثم جثت على ركبتيها امام الجثة وحققت النظر فيها فالفتها مانداني الفارسية وقد تحضبت ثيابها بدنها فمزقت قميصها واذا في صدرها جراح دامية فارتابت لهول ما رأت وعجبت لاوربون كيف يقدم على مثل هذه الفعلة الشنعاء وقد كانت بالامس تنعته بخير النعوت وتحسبه مثالا للشهامة والمروءة ثم هو اليوم يرتكب جرماً كهذا ولا يلبث ان يترك المسكينة وشأنها وقد باتت فريسته مرتين. فاخذت تبصر في سبلة لانقاذها اذ آتست فيها رمقا من الحياة ولم يشأ حيرام ان يتخلى عن سيدته في ذلك الموقف الحرج فلعل حذاءه وحمل المجروحة واسندها الى عمود في القاعة ووقف ينتظر امر سيدته في شأنها لكن باولين الحت عليه بالذهاب خشية ان يراه احد من اهل القصر فصدع بامرهم واسرع الى الدار وحينئذ صاحت باولين باعلى صوتها تدعو الخدم الى مساعدتها فرددت جوارب القصر صوتها وهرع الكتّاب والحشم وفي طليعتهم اوريون وقد تدرّج بدثار الليل كأنه نهض من الرقاد فجأة فلما وصل اليها سألها عما جرى فلم تجبه فاعادت امه السؤال فخارت باولين في ما تقول لكنها شددت عزمها وقالت

— منبت الليلة بالاروق وبينما كنت انقلب على فراشي سمعت نباح كلب وصراخ مستغيث فامرعت الى هذا المكان ورأيت ما ترون. فقالت نفورس
— لا مشاحة في انك غريبة الاطوار فهل سمع في الدهر ان الفتيات يتركن غرف النوم ويخرجن الى مواقع القتال. وقال اوريون ولو كان معك شيء من السلاح يا ابنة الابطال.... فقاطعت باولين وقالت

— لقد خليت السلاح للابطال والقتلة ثم حوَّلت اليه نظرة احد من السهم فندم علي خطايه وحاول صرف الحديث فقال على انك مخطئة في زعمك فليست هذه الجراح في صدر الفتاة وكتفها طعنات سلاح ولكنها اثر براثن الكلب ولا ادري ما الذي جاء بمانداني الى دار التجف حتى جرى ما جرى فقالت امه

— ولكن حذاء من هذا الذي اراه هنا. فعلت جبين اوريون صفرة الوجع وحسب الف حساب واخذ يضرب اخماساً لاسداس فانه لم يدخل الى دار التجف حتى يقن ان الباب المؤدي الى القاعة موصد وان المكان خال من الانس فقلق وخشي ان يكون قد رآه احد

لكنه عزم على البحث فالتقط الحذاء وسأل الخدم عن صاحبه فلم يعرفوه فقال
 — لكن هذا الحذاء مصنوع عندنا وعليه سمة مهممنا فنحذه يا سيك وتحقق صاحبه وغدا
 نرى ما يكون من امره ثم التفت الى باولين وقال
 — لقد كنت اول الواصلين الى هذا المكان بحسب قولك فهل ابصرت فيه رجلاً
 فاجابته والقيظ يكاد يحنقها

— نعم

— وكيف سار

— رأيتُه يعدو كالجبان في عرض القاعة ثم خرج الى الحديقة التي امامها حتى غاب في

غرف النوم

فخرق اوريون اسنانه وغلت البغضاء في صدره وخشي ان تكون باولين واقفة على دخيلة
 امره في تلك الليلة فتفضحه وتغشي سره وتغني لو تنخسف الارض بها فلا تبوح بما في صدرها.
 فقلت امه لعل الفاعل اراد اباك يا اوريون قصد الفتك به فاسرع يا سيك الى غرفة مولاك
 وقم على حراسته بما نعهدك فيك من الامانة وانت بالاني تحقق اللص من آثاره ولا تخله يفلت
 من يديك. فالتفت باولين الى البستاني وطلبت اليه ان يقيس الحذاء على الآثار التي في
 الحديقة فاعترضها اوريون قائلاً هذا شغلي النظر فيه بنفسي قال هذا وحمل الحذاء وخرج الى
 الحديقة فاستاءت باولين لتداخله وخشيت ان يضيف الى ذنوبه في تلك الليلة الكذب كأن
 يقول ان الآثار تطابق الحذاء حجماً وشكلاً فلما عاد قال لا استطيع الجزم في الامر فالحذاء
 اكبر من اثار الاقدام هناك

وكانوا قد ارسلوا من يأتي بالطبيب فلما جاء انفردت نفورس بابنها وسألته عن سبب
 صفرته واضطرابه وهي تحسبه مريضاً فقال لها لقد احزنني منظر هذه الفارسية
 وفيما هم كذلك اقبل بعض الاتباع يحملون رستمًا شيخ قافلة هاشم التاجر العربي فوضعه في
 القاعة لا حراك به وذلك انه كان مع اتباع المقوقس كما تقدم فلما دار الحديث على المذاهب
 واختلافها ابدى ازدراء واستخفافاً بمذهب اليعاقبة فتناول احدهم هراوة وضربه على رأسه فالحاه
 جريحاً فكشف الطبيب عن الجرح ثم وقف وهو يتميز غيظاً وقال هذه ضربة مصري بحت فانها
 في مؤخر الرأس فتفرقوا عني ايها الاتباع وليبق هنا اصحاب الشأن فقط وهاتوا لي يحملين وانت
 ابنتها السيدة نفورس مريمهم ان يعدوا غرفتين للجريحين فان هذا الفارسي في خطر
 — سامرهم باعداد الغرفتين المجاورتين للقاعة

— كلاً فاني اريد غرفتين تشرفان على النيل فالجريحان في حاجة الى الهواء الطيب الذي لم يبقَ اذا سوى غرف الضيوف حيث نقيم باولين ولو كانت الجريخان من اهل البيت لاذنت لهما في البقاء فيهما ورياش هذه الغرف نظيف ثمين وقد اعددناها لكبار الضيوف فقال الطيب — لا اكبر الآن من هذين الجريخين فانها اقرب الى الله منا جميعاً فليحملها الخدم الى غرف الضيوف

الفصل التاسع

ما كان اوريون ليخشى باولين لولا جريمة ارتكبتها تلك الليلة فانت قذى في عينه وشجى في حلقه حتى اذا ما رآها تعتنى بالفارسية وسمعتها نتمه بمحاولة قتلها علم انها كانت في القاعة ساعة كان في دار التحف وظن انها رآته متلبساً بجرمه فني بتبكيك الضمير وهجره النوم وطاب الانفراد وتجلت له فعلته باسمج الالوان واقبح الصور فلم انه في قبضتها وعجب لنفسه كيف اقدم على عمله هذا فحاطر بشرفه وهو عميد القوم وابن واليهيم . وتحرير الخبر ان اوريون فني مهتره في بيت كاترينا حيث لقي عمها فحدثه بمحدث القطيف الذي ابتاعه ابوه هدية للكنيسة ووصف له جماله وما فيه من الجواهر النادرة المثلث حتى اتى الى الزمردة فاطنب في صفاء مائها وكبر حجمها وغلاء قيمتها فلما فرغ من الكلام قال الآخر

— او يا بني عليك ابوك ان تأخذ شيئاً من جواهر هذا القطيف وانت ولده وفلذة كبده او نسي ان الكنيسة في غنى عن هذه الجواهر وخزائنها تندفق بالثروة فقد حق لك ان تأخذ نصيبك منها فتهديه الى عروسك فالنساء يطمعن في الحلى ويرين فيها من اللذة ما لا تشعر به نحن . ولما جلسوا الى الطعام استرسل الرجل في حديثه هذا فزاد اوريون شوقاً الى احراز الزمردة التي في القطيف قصد ارسالها الى نسيبة يوستينوس في القسطنطينية قياماً بوعد له ومقابل هدايا اهدتها اليه كاتيليل التي جاء بها فلما عاد الى البيت سار تواء الى دار التحف ففتح وعمد الى القطيف فنزع منه الزمردة وقلبه يخفق وجلاً لان ذلك كان اول عهد بالسرقة

فلما حدث ما حدث مما ذكرناه آنفاً تبدلت ظنونه وازداد قلقه ففضى بقية ليله بقلب على احتر من الجمر ورأى في باولين عدواً له لا بد من مناجزته او التسليم اليه . وادرك انها ليست ممن تنطلي عليهم الحيل وظن انها تنوي الايقاع به وتشهيره بعد ان اتهمته بمحاولة قتل الفارسية وظل على تلك الحال نحو ساعتين ثم هب من اضطرابه وقال اذا شاءت الخصام فانا كفؤها . نعم ان نسيبة يوستينوس جميلة بهيمة كملاك وقد اقترفت جرماً كبيراً لاجلها وارنكت وزراً لا يغتفر ولكن ما الحيلة الآن وقد كاد الامر ينكشف فلا بد من الثبات . ثم امر قهرمان

يتمهم وفائد الحرس ان يقتنيا آثار صاحب الخداء حتى يبقا عليه وعمد الى اساوره نخطاً
اياتاً من الشعر لفتاة القسطنطينية ثم لف الزمردة وشدها الى الرسالة وارسل فاستدعى السائس
الذي اتى بخيله من عاصمة الروم الى منف فامرهُ بالاستعداد للسفر ودفع اليه الهدية واوصاه
ان يسير توّاً الى الاسكندرية ويركب اول سفينة وجهتها القسطنطينية ثم رافقه الى خارج
المدينة وهو يعيد عليه اوامره بسرعة المسير وكتمان الامر . وبعد ان سار بضعة اميال عاد الى
البيت وقد اطمان فواده وخف جزعه اذ اقصى عنه الشاهد على سرقة لكنه ود لو تنقص
حياته سنة وأنه لم يرتكب هذه السرقة على انه لم يكذب يستقر في مخدعه حتى عاودته مخاوفه
ونضاعف قلقه فاخذ يفكر في باولين وما ابدته من مظاهر العداء له وحار في تعليل الاسباب
التي دفعته الى عملها هذا واتهامها اياه بالقتل في حين انه لم يقترب ذنباً يسها وعجز عن الوقوف
على علة نفورها منه بعد ان باحت عينها بمحبها له ليلة كانا يروحان النفس في السفينة مع ابويه
فقال في نفسه لعل الباعث الى ذلك غيرتها من كاترينا ولما خطر بباله هذا الخاطر شرع يقابل
بين الاثنين تلك في جمالها وشممها وسمو عواطفها وشرف نسبها وهذه في قصر قامتها وخفتها
وزورها تلك الثروة التي اشتتها امه علي ما كان لها ولا ييه من الاموال التي لا تقع تحت حصر
ولبت ساعة كذلك تتنازع الافكار حتى اعيما فارقتي على سرير وران الكرى على اجفانه
فراى رؤيا تمثلت فيها باولين على عرش من الماء الازرق مفروش بالورود واصوات الغناء تتصاعد
حولها فتقدم اليها واذا بنسر اسود كبير انقض عليه ولطم وجهه بجناحيه حتى كاد يعميه ثم
تحول الى الورود فاخذ ينقرها كما تنقر الفراخ حبوب الخنطة فغاضه ذلك وعمد الى النسر يريد
القبض عليه فلم يستطع المشي وكان قدميه مشدودتان الى الارض فحاول الركض وهو يضرب
بيديه ذات اليمين وذات الشمال وبينما هو كذلك استيقظ وجبينه يكاد يتفصد عرقاً فلما فتح
عينيه رأى امه واقفة بجانبه وقد علا وجهها الاصفرار فاخبرته ان اباه بانتظاره في المجلس
وأنه في حاجة اليه فنهض من سريريه واصلح شعره وهو يفكر في ما عسى ان يكون الغرض من
تلك الدعوة ولما فرغ خرج من غرفته يريد الذهاب فاستوقفته شدة الحر في الدار والحديقة وقد
صر الجنذب واشتد الهجير وامتلاً الجو بهيج الشمس المنعكس عن سطح الارض وكان جميع
المخلوقات استسلمت لفعل الحر حتى خيل له ان الماء في النوفرة بطي الجريان فزاد ذلك في
كدره وغمه وشعر كأن ثقلاً أثق على صدره وكان رجله مقيدتان وبديه مكبلتان فسار
الموينا حتى بلغ المجلس فابصر فيه ما راعه وزاد في اضطرابه اذ رأى امام سرير ابيه القطيف
الفارسي منشوراً بعضه وبجانبه امه وهاشم التاجر العربي فحيا والده والحاضرين ثم نظر اليهم وقال

ما بالكم صامتين كأنَّ على رؤوسكم الطير. ان المصيبة شديدة الوطأة وقد احزنني ما ألم
بتلك الفتاة التعيسة واغضبني ما اصاب رستم شيخ القافلة فأيقن ايها التاجر ان القصاص سيحل
بالجرمين فيلقون جزاء ما جنته ايديهم وسيخولك ابي حق الانتصاص منهم كما تشاء ولا تخش
بأساً على رستم فان فيلبس الطبيب يداويه ويشفيه باذن الله وما ذلك على مهارته بكثير وهو
ابقراط مصر وطبيبها النظامي اما التعويض فانت أدري بأبي ولا أراني في حاجة الى الاسباب.
فهبت النخوة العربية في صدر هاشم والتفت اليه مغضباً وقال

— مة ولا تجمع بين شرين اهانتني والجراح التي اصابك صديقي الباسل تحت سفك
بيتكم فلست بائعاً حتى يمال ولو مال المقوقس ولن اتحول عن طلب النعمة وقصاص القنلة اللثام
فقد جاء في كتابنا ان القتل انفي للقتل وان في القصاص حياة واراكم تجرون على هذه القاعة
ولو ان كتبكم نقول غير هذا القول . ويسوئي ان امثال هذه الحوادث تحدث في بيت الرجل
الذي استعمله الخليفة علي نصارى مصر فقد سمعتم تفخرون برحابة صدركم وعدم تعصبكم فما
قولك في ما فعلتموه برجل نزل عليكم فقتلتموه ايام السلم وهبه نجا من الموت فسبقى معتموا طول
عمره واما امانتكم

اوربون — ومن يجراً على الارتباب فيها

هاشم — انا يا فتى فقد بعتمكم امس شيئاً واره اليوم عطلاً من اثمن جواهره وجيند
التفتت امه اليه وقالت لقد اقتلوا الزمردة النفيسة من القطيف في الليلة البارحة بعد ان
سرت بنفسك مع الخدم الذين حملوه الى دار التجف حيث اودعتموه . فقال اوربون
— نعم فقد كان الامر كذلك ونحن نقلناه في نفس الثوب الذي لفه به اتباع التاجر ورافقنا
سبك قهرمان بيتنا فمن الذي جاء بالقطيف اليوم منه

هاشم — لحسن الحظ ان جاءت به امك وسبك وحمله عبيدكم

اوربون — وعلام لم يتركوه وشأنه

هاشم — ذلك لاني قلت لا ييك ان جماله لا يبدو على اتمه الا في النهار في نور الشمس
وقالت امه وزد على ذلك فان اباك رام ان يعيد النظر في ما ابتاعه واراد ان يسأل التاجر
عن خير الوسائل لاقتلاع حجارته الكريمة منه دون ان يسه بسوء فذهبت وسبك بالعبيد الى
دار التجف واتينا به

اوربون — وكيف دخلنا الدار ومفتاحها معي

امه — وجدنا الباب مفتوحاً

اوريون — ولكنني اقلته بحضور سبك

سبك — نعم وقد سمعت بأذني رنة القفل . فقالت امه بقي اذا انهم فتحوا الابواب النحاسية
بفتح آخر فاننا حالما دخلنا الفينا القطيف منشوراً فتأملناه فاذا الزمردة منزوعة من مكانها .
فاصفر اوريون وصاح يا للعار وقال المقوقس

— اقسم بالسيد المسيح اني لا اغفل ولا استريح ولا انفك انقب عن الجاني حتى التي
القبض عليه . فقال هاشم

— وانا اشارك في البحث ولو دعت الحال الى رفع الامر الى عمرو بن العاص فقد
بدرت كلمة الآن ان انساها وقد ادركت يا فتى مغزى كلامك وما بدور في خلدك فقد
حدثتك نفسك ان هاشماً خب مكار باع اباك في ما باعه زمردة كاذبة فلما خيم الظلام
ارسل من يسرقها تحت جنح الليل قبل ان يطلع النهار وتنكشف الحيلة فاعلموا يا قوم اني رجل
امين واموالي بفضل الله كثيرة فاذا تجراً احد ان يثلم شرفي وصيتي فليعلم ان لهذا الشيخ الفاني
من الاخوان الذين يأخذون بناصرو ويشدون ازره من لا قبل لكم بمناجزته . ولما انتهى الى
هذا الموقف اغرورقت عيناه بدموع الغم والكدر فقاطعه اوريون وقال

— ومن الذي نجراً فاتهمك بمثل ما تقول . فقال

-- امك ولو لم تقل ذلك صريحاً . فقال المقوقس

— عفوا ايها التاجر ولا يثر ثائر غيظك فقلوب النساء ارق من قلوب الرجال لكنهن
اقرب منهم الى سوء الظن لا سيما بالخارجين عن عقيدتهم فقد قيل ان شعر المرأة طويل
وعقلها قصير . فاجابت نفورس

— قولوا في النساء ما شئتم اذا كان ذلك يبرّد غليكم على اني اعترف بخطائي واستميتك

العفو ايها التاجر

— علي الرحب والسعة فقد قضيت ما مضى من العمر ولا غبار على اسمي وصيتي فلاغرو
اذا لم اطق ذلك الآن على اني ساقف وقتي على البحث عن هذا الامر فلا احيد يمتة ولا يسرة
حتى ييدي الصريح عن الرغوة فقولوا لي ا كان الكلب القائم على حراسة دار التجف عقوراً .
فاجاب اوريون

— يكفيك من ذلك ما فعله بالجارية الفارسية . وقالت امه

— لقد كنت اول الواصلين الى مكان الواقعة ولو كان السارق اجنبياً لما تركه الكلب
وشأنه فهو اذا من البيت او من الخدم ولا يحتمل ان يكون باولين التي سبقت الجميع الى اغاثة

مانداني فانها فقطاعها زوجها وقال منتهراً

— تجاوزي عن اسم بولين في هذا الحديث . فقال هاشم

— او نعنون الفتاة التي كانت معكم امس اذا اموالي حرام علي ان كانت هي السارق
ومن كان مثلها فابعد الاشياء عنه ارتكاب الخيانة . وقال اوريون ومن يصدق ذلك عن
بولين فصاحت امه

— عجباً للرجال تفتنهم عين نجلاء وتسلب الباهم ولكني لم اتهمها فاسمعوا ما اقول واعلموا
ان ذات الشعر الطويل قد تكون ذات عقل كبير ايضاً فقد وجدوا حذاء رجل في القاعة
فهل صدعت بامر مولاك يا سبك وهل اوعزت اليهم ان يتحققوا صاحب الحذاء

— نعم يا مولاتي واني انتظر الساعة قدوم قائد الحرس الذي كلفته قضاء الامر ولم بك
يفرغ من عبارته هذه حتى طلع عليهم القائد المذكور فاخبرهم بما فعله قال طرحنا الحذاء امام
كلاب الصيد حتى شمته ثم اطلقناها فجري اثنان منها الى الباب المؤدي الى غرف النوم وتسلف
السلم الى غرفة السيدة بولين ثم عادت الكلاب باسرها الى الاصطبل فدارت في انحاءها وفي
نهاية هرباً شديداً وكأنها الشياطين تجري لتقبض نفوس الهالكين ولم تلبث ان هجمت على
الفتى ابن حيرام مربى الخيل الذي جاء من دمشق مع ابنة توما العظيم فالقته على الارض ثم
اندفعت الى غرفة ابيه فقلبت الامتعة وبعثرتها حتى لم يبق عندنا ريب ان صاحب الحذاء
هو حيرام بعينه وقد اقتنت الكلاب اثره الى ضفة النيل ووقفت هناك وبعد البحث تبين لنا
ان احد القوارب ناقص وعندني ان الرجل عبر النهر الى العدو الشرقية فاذا لم يجره العرب
ثمياً لنا القبض عليه قبل ان ينجو . فصاح اوريون

— لقد عرفنا السارق وانت ايها القائد نخذ بعض رجالك واعبر بهم النهر واتق القبض
عليه وسيعطيك ابي امراً قاضياً بذلك فيساعدك العرب على اسره فاذا ظفرت به اليوم فقد
يحدث ان تكون الزمردة في قبضته

وفينا هم كذلك دخل الحاجب فاخبر المقوقس ان غملايل الصيرفي اليهودي بالباب
يلتمس صدور الاذن في المنول بالحضرة ليطالعهم على امور ذات بال بشأن الزمردة . فامتع لون
اوريون وحوّل وجهه عن التاجر واتراح من مكانه فلما صار غملايل في حضرة المقوقس سئل
عما يعرفه من امر الزمردة فقال

جاءني صباح اليوم الرجل حيرام من خدم هذا البيت ويبدو زمردة كبيرة كريمة فعرضها
عليّ للبيع واقسم لي انها اتصلت اليه من تركة القائد توما وان سيده اتخذها ايام سؤدده

وعزه حلية في رأس جواده فرضيت ان اتباع الجوهرة وعرضت عليه ثمنًا مليحًا نقدته منه
التي درهم معجلة كان في حاجة شديدة اليها وخلي الباقي وديعة عندي ولما انفصل عني تنازعني
الافكار ولم اعتم ان رأيت رجال الشرطة يجرون بكلاهم في الشوارع وقد علت الجلبة
والضوضاء فسألت عن الخبر فقبل لي انهم يبحثون عن رجل سرق شيئًا من بيت الوالي فعملت
اني مخدوع واني عقدت صفقة خاسرة فاسرعت الى القصر واثقًا بعدل المقوقس وهانذا اتنازل
عن هذا الحجر الكريم مقابل ما نقدت حيرام ولا اطلب منكم فائدة لمالي ولا ابتغي اجرًا ولا
جعلًا مقابل حفظي هذه الوديعة الثمينة في يدي ساعتين او اكثر. فلم يرق مزاحه البارد
في عين هاشم فقال له هات الزمردة ومد يده فانتزعها منه وشرع يقلبها في يديه ويحدق فيها
النظر ثم اخرج من جيبه مطرقة صغيرة فدقها بها وهو يفحصها فخص خبير بانواع الحجارة الكريمة
حتى اكتفى. هذا واوريون كمن في النزع تارة يصفر وطورًا يحمر اذ خشي ان يكون رسوله
الى الاسكندرية قد باع الزمردة الى حيرام وهذا باعها الى اليهودي ولما اعياه الامر التفت
الى غالايل وقال

اوافق انت ان حيرام باعك الزمردة وهل تعرف الرجل معرفة تامة فان المسألة شديدة
الاهمية وعقابه او براءته من التهمة يتعلقان علي كلامك

فقال اليهودي ليبارك اسم الرب اترتاب يا مولاي في صدق قولي او بقي في منف اليوم
من يجمل حيرام ولا يعرف تيمته فكم من مرة رأيتاه يعود بخيلك السراع كأنه ملاك الموت
فيدوس الشيوخ والاطفال . فقال اوريون

— انذكر اية ساعة اتاك اليوم

— اتاني بعد صلاة الصبح بقليل ساعة يقع نور الشمس على الدكة امام بيتي

— وفي اية ساعات النهار يكون ذلك

— لساعتين بعد الشروق في هذه الايام

فسرّي عن اوريون وذلك لان رسوله الذي سار بالزمردة الى الاسكندرية انفصل عن
منف بعد شروق الشمس باربع ساعات ولما كان شديد الثقة بصدق اليهودي اطمأنّ باله
لكنه ما برح يظن الزمردة عين التي ارسلها وتنبّ أن لا يقبض الشرطة على حيرام الى ان قال
في نفسه وهب انهم فعلوا فشر في اثن من حياة مئة سائس فاذا اقتضى الامر ضحيت صيته فدية
عني وحققت دمه بمالي من النفوذ عند ابي ثم التفت الى هاشم فقال

— اتأذن لي في فحص الزمردة فقد اعياني امرها فهل تظن ان في الوجود زمردة اخرى تماثلها

فقال هاشم هذا امر يصعب الجزم به فان هذا الحجر اشبه بالذي كان في القطيف من الماء بالماء لولا نتوء في احد جوانبه لا اذكر انني رأيته في ذاك وقد يحدث ان هذا النتوء كان مخفياً في الذهب المحيط به ولكن قل يا جوهري اكانت الزمردة كما هي الآن لما اشتريتها من السارق — نعم كانت عارية كادم وحواء قبل ان اكلا من الثمرة المنهي عنها . فقال التاجر — بالبحيرة فقلبي يحدثنني ان هذه ليست تلك وتكاد عيني تقنعني انها هي لولا ان في هذه طولاً يزيد عن طول تلك فقال اوربون

— أو يصدق ان هذين التوأمين وجدا في ساعة واحدة وفي بيت واحد فلم يبق اذاً الا ان هذه هي زمردة القطيف عينها وقد سرني اننا ظفرنا بها بعد ضياعها وسأحرص عليها الآن فاضعها في خزانة الحديد ومتى قبضتم على السارق فادعني ايها القائد للنظر في امره . ثم حيا والديه وهاشماً وخرج وهكذا اتضحت براءة التاجر لكنه ظل مضطرب البال وكأن في قلبه ريباً لم يستطع محوه فلما اخدت الجماعة تتفرق نهض هو ايضاً وترك المجلس وعاد من حيث اتى

بحيرة طبرية وواقعة حطين

احسن ما فيه يسرح النظر
غار عليه النجود من شغف
قامت على الجانبين تحفوه
مبتدى الجري في الشمال لدى
هاوا الى الموت في الجنوب لدى
ومن يعم البياض لمة
يا شرق هونين كم لديك جري
الشرط تل القاضي يسلسله
والحاصباني بات اثرهما
يملاً منها الاردن بركته
حيث وشيع اليراع مشتبك
حيث نمو النبات معجزة

واد بحيث الاردن ينفجر
فالغور ما بينهن منحصر
كذلك الحسن شأنه الحفر
شيخ له الكبر بات والكبر
بحر ولا كالبحار يحضر
فهل سوى الموت بات ينتظر
معين ماء حباؤه درر
والشرط من باناس ينحدر
يشد في الجري ليس يصطبر
ويزدهي مرج حولة الخضر
كانما الخط ثم والسمر
كانما سوق قحبه الشجر

والصيد ما إن يزال عن كَثَبِ
بحيرة لم يَرِمْ بساحتها
يَمَّ أَرَمَ ورام ثالثة
أمن جسرُ البنات معبره
حتى إذا فاض من هناك غدت
ارضٌ علت ماؤه مناكبها
أقبلَ يرغي وما به قَطَمٌ
حتى إذا ما مياهه اخنطت
من بعد تلك الحياة بات به

بحر الجليل الذي شواطئه
غذا دماء المسيح مورده
وبين امواجه واربعه
كم فيه للكاتبين من سير
عيسى حوارية وصفوته
والصائدون الألى له أتبعوا
وكفرناحوم مع عجائبها
والمجدل القرية التي نشأت
والزهدي فيه الافراح قد دُحِجت
والخبز تقري الالوف كسرتة
والقول هذيه الفتاة نائمة
وكم نبت بالسفين عاصفة
فسكن البحر وهو مضطرب
سجا بإيماء له ونجا
في ضفتي هذه البحيرة لو

في كل شبر من رحبها اثر
وراقه منه ريقه النضر
كانت تجلّي آياته الكبر
وكم نبين فيه تذكرة
والناس من حول وعظه زمر
هدى وذاك الشراع منتشر
ومن بها آمنوا ومن كفروا
مريم منها والطيب منتشر
والفقر معه البيان والفقر
والمشي فوق المياه مشتهر
والبكرك عزريل نحوها بكرك
وظن ان الركاب قد غبروا
من بعدما استصرخوا وما جأروا
من حملته الالواح والدر
تجر الفكر حارت الفكر

كم خبأ الدهر في جوانبها وما البحر السبع مع نتائجها
 وما الروم ما الهند ثم ما الخزر وقوم موسى لهم بساحتها
 مر كع صدق وادمع غزر في طبرياً مواقف حُمدت
 وارضها مقدس ومغتفر بها رجال التلمود قد سكنوا
 وجل آرائهم بها زبروا وم نبي في ذي البلاد قفا
 موسى وم مر ههنا الخضر يكفيك ما في الأردن من عبر
 نهره عليه آباؤهم عبروا وان يحيى على شواطئه
 بين يديه الانام تطهر ما القنج ما النيل في جوانبه
 ما دجلة ما الفرات يعبر والغور بين البحرين منبسطة
 تسرح فيه الجاذر العفر لو طبقته ايدي الوري عملاً
 على فلسطين فاضت المير قد كان والماء غابراً شرعاً
 والآن ما ان يكاد ينحسر بحيرة كل شانها عجب
 وهي من الحسن كلها غرر لله در الكندي واصفها
 كأنها في نهارها قرر كانت تحف الجنان دورتها
 والآن تحتف دورها السدر مرآة نور من السفوح لها
 اطار نور لم تحكه الأطر كأنها في صفائها فلك
 وفلكها فيه انجم زهر اجمد بقوم رأوا محاسنها
 يوماً فما انشدوا ولا شعروا عند الشمال الأردن واردها
 وفي جنوبها له صدر شريعة من مياها ظهرت
 وقد تلتها شرائع آخر علم عيسى هنا شريعته
 وقوم موسى توراتهم فسروا وفي حروب الصليب قد رفعت
 اعلام دين الذي نت مضر

يا يوم حطين كم حطت من الافرنج شأناً ما كان ينكسر
 هبوا من الغرب كالجراد فلم يكن لشرق بردهم قدر

واستفتحوا القدس والبلاد ولم
 وهددوا المسجد الحرام وم
 وكاد يبيكي الميزاب فيه دماً
 ونابت المسلمين داهية
 فكل كف اصابها شلل
 وكل جمع ناوهم انقلبت
 وحوصرت جلق ولو اخذت
 وقيل دار الاسلام قد حصرت
 ما زال ملء القلوب رعبهم
 حتى تولى زكي فنازلهم
 طليعة النصر في ولاية نور الدين ملك
 مجاهد ماهد بخطته
 نقر عين النبي سيرته
 ثم ابن ايوب جاءه خلفاً
 مهد دار المعز فانقلبت
 لما استقامت له الامور ولم
 اقبل في جفيل له لجب
 بقتية سمرهم اذا عشقوا
 غير طعان التخور ما عرفوا
 اناخ في شاطئ البحيرة اذ
 فقام من ارضه لصد مهم
 يوم تلاقى الجمعان والتظت ال
 يوم تلاقى الجمعان وانتصب
 الميزان رهن انحرافه الظفر
 الشرق والغرب بعد طول وغى
 تواقفا والبراز مختصر
 يعص عليهم بدو ولا حضر
 دعا ملب فيه ومعتمر
 ورق مما اصابنا الحجر
 دهماء قد عمهم بها الذعر
 وكل عزم اصابه خور
 فرسانه وهي للظبي جزر
 لم تبق مدن لنا ولا مدر
 وحف باقي بلاده الخطر
 ولم يكن نافعاً لها الحذر
 وكان من شيركو له وزر
 بالعدل يا تزر
 في الفتح والعدل سارت السير
 ويرتضي مثل هديه عمر
 وليس الا سروجه سرر
 يوسف مصر وهي تفخر
 يبق رقيب وانجابت الغمر
 يطلب ثار الدين الذي وتروا
 سمر صعاد وبيضهم بتر
 وغير جرد الخيول ما زجروا
 اليه عن كل ناجذ كسروا
 في السهل من لوباء واشتجروا
 هيما حتى كأنها سقر
 انحرافه الظفر
 والبراز مختصر

ثلاثة والنزال بينهما
 فامطرتهم قسي جيش صلا
 ودوا وقد ابصروه عارضهم
 كلنا قومنا وقد ثبتوا
 كلنا قومنا وقد وثبوا
 كان سوق الجهاد قائمة
 ذاق العدى من سلاف طعنهم
 لما رأوا الامر غير ما حسبوا
 ولوا ظي يوسف ظهورهم
 ضياعهم اجفلوا وقد نظروا
 وادبر القمص مع فوارسه
 لا عجب ان نجى وحيط به
 مالوا لخطين طالبين نجى
 واسفر السبت عن هزيمتهم
 وفوق ذاك الصعيد نائمهم
 والهيكليون من قساورهم
 لم يجبنوا ساعة وان خذلوا
 في حضرة من شعيب قد شعبوا
 فازلفوا نحو يوسف خضعا
 ترهقهم ذلة وتحسبهم
 يوسف عصر صلاح مملكة
 اصبح مستحييا دماءهم
 ابي عليه الاباء مصرعهم
 عفوا به عنهم واخرج من
 نزال من بعد يومه العصر
 ح الدين نبلا من دونه المطر
 لو سترتهم من دونه حفر
 شم حصون لها القنا جدر
 زعازع للغصون تهتصر
 وهم بصنف الردى هم التجر
 كاسا بغير المنقود تختصر
 والناس من فوق صبرهم صبروا
 تأخذ منها فوق الذي تذر
 حمر المنايا كانهم حمر
 ما غره مثل غيره الغر
 عادة ذي الارض نشر من قبروا
 فلم يفدهم ضلع ولا دبر
 واصبح الملك ضن من أسروا
 كانه التخل وهو منقر
 لم يبق الا هياكل دثر
 وانما الليث دونه التمر
 كذا لهم عن مزارع زور
 رقابهم ناكسا لهم بصر
 قوما سكارى كأنهم حشروا
 بكل امر للبر مؤتمر
 حياؤه والخلائق الزهر
 وعف اذ عف وهو مقتدر
 بنكته السهل ضاق والوعر

وفي بارناط نذرهُ بيدٍ
وقال اذ تلَّهُ بصارمه
ازوج بين التهليل مهجته
فاصبح الملك وهو مرتجف
ابصر جسم البرنس منعفراً
فأفرج الروع منه في الحال اذ
عوقب بالاسر موقن بردى

قاصمة الظهر للفرنج غدت
كأنّ عليا حطين مبتداً
حظاً ابن ايوب ان يفوز بها
وحظ جيش أبي النداء غدت
قوم اراحوا الاقوام اذ تعبوا
بهم جدود الاسلام قد صعدت
ولا بن شاذي ذكر شذاه سري
قام بوجد الفرنج منفرداً
حتى استرد البلاد اكثرها
كانت مئات الحصون تعصمهم
من كل حصن اماط عرتهم
واستعصمت صور في معاقبها
من فرط ما عصم برأفته
فامتنعوا كلهم بعقوتها
ان عيب بالحلم والوفا بطل
ما شان طول الأناة في رجل
قد كان في رقة وفي جلد

اذ طالما لم تحك به النذر
ها اناذا للنبي انتصر
مخضوبة صارماً هو الذكر
ما شك أن بالحسام يستدر
فقال اشر البرنس أقنفر
بشر ان لن يصيبه ضرر
وجل ملكاً مع العبي العور

وقعة قرني حطين مذظروا
وكل فتح من بعدها خير
والله في خلقه له اثر
في اللوح مكتوبة له الأجر
وقد اناموا الانام اذ سهروا
من بعد ما كان اهله عثروا
في كل قطر كأنه القطر
والقوم من كل امة جعروا
واصبح القدس دان والصخر
منيع اذ شعورنا شعور
بالسيف لم يمش نحوهم خور
وكل طرف به لها صور
وفلته قلمهم وقد كثروا
فهي لهم ملجأ ومعتصر
فانه خير ما هذا البشر
ان لم يكن شان باعه القصر
كالسيف في ماء حده الشر

جمرة بأس ما شابهها وهل غمرة حلم ما شابهها كدر
 ما كان يدري من الوغى ضجراً والكل في الجانبين قد ضجروا
 حتى ييط العوار اجمعه ما هان من كان همه العسر
 آمن دار الاسلام بعد عنا كذلك الشهد دونه الأبر
 لم يله عن تغور مملكة ثغر ولا ناظر به حور
 وكان من حرمة العدو له أن ذكره في بلاده عطر
 تغدو عظام الملوك واقفة بيابه وهو اعظم نخر
 وينحي حاسراً بترته رأسه بأعلى التيجان معتجر
 شهادة منهم لخصمهم والحق كالشمس ليس يستتر
 والفضل يحيا من بعد صاحبه والذكر يبقى ولو عدت غير
 ونحن من بعد كل ذاك وذا لم يبق إلا الحديث والسمر
 طبرية في يناير سنة ٩٠٢ شبيب ارسلان

الاعتصاب ومضاره

بحث اقتصادي

كثر اعتصاب العمال في القاهرة منذ شهرين فاعتصب صنّاع الخياطين أولاً والأول
 الشوارع بجماهيرهم ثم لاقوا السكاير والخبازون وصنّاع البقالين حتى خيل للناس حيناً رأوهم
 يطوفون في الشوارع جماهير مزدحمة نتقدمها الموسيقى اننا في احدى مدن اوربا يوم يشتد فيها
 الهرج والمرج لانقطاع العمال من العمل واعتصابهم على اصحاب المعامل . وقد كنا منذ
 عهد قريب لا نعرف شيئاً عن اعتصاب العمال سوى ما نقرأه في الجرائد اما اليوم فقد مرت
 عدوى الاعتصاب الينا وانتشرت بين عمالنا فيلحق بنا ان نبث عن اسبابه ونتأجج اذا اردنا
 ان نتدارك الشر قبل تفاقمه ونمنع المكروه قبل وقوعه . ولما كان علماء الاقتصاد السياسي في
 اوربا قد نشروا في هذا الموضوع اسفاراً كبيرة رأيت ان استعين بواحد من كبارهم وهو
 العالم جوردان استاذ فن الاقتصاد السياسي في مدرسة الحقوق باكس واكتب السطور التالية

ان الاختلاف بين العمال وارباب الاعمال او بين العمل ورأس المال كما يقول علماء الاقتصاد قديم جداً . فيقول العمال اننا نعمل بالاجرة ونحن قابلون بهذه الحالة ولكننا نرغب في تحسينها بازدياد اجورنا ليتيسر لنا يوماً ما ان نصير من ارباب الاعمال كما صار غيرنا . فاذا سمع المنصف كلاماً مثل هذا استصوبه وارتاح اليه ولكن لا يخفى ان الاجرة هي ثمن عمل بعمله العامل فهي ثمن لثمن مثل ثمن البضائع وثن البضائع لا يتوقف على مشيئة زيد وعمرو بل على حالة الطلب او حالة السوق فاذا راجت البضاعة وكثر طلب الناس لها ارتفع ثمنها والآن الخفض وكذا اجور العمال فان ارباب الاعمال يرفعونها اذا زاد الطلب على اعمالهم والآن اضطروا ان يخفضوها او يقللوا معاملهم . وكثيراً ما لا يسرعون في زيادة الاجور ولا في تخفيضها لانه يصعب عليهم ان يعرفوا حالة السوق وهل ينتظر الرواج لمصنوعاتهم او الكساد الا ان العمال لا يصبرون في الغالب فيطالبون ارباب الاعمال بزيادة اجورهم قبل ان يكون هؤلاء على ثقة انهم يستطيعون زيادتها وقد يطلب العمال الزيادة وقتما يكون ارباب الاعمال عاجزين على التقيص خوفاً من الخسارة فيعتصب العمال ويضربون عن العمل وتكون النتيجة ضرراً عليهم وعلى اصحاب الاعمال

وكان القانون الفرنسي يعاقب على كل تجزؤ من شأنه اجبار صاحب العمل على زيادة اجور عماله او انقاص ساعات عملهم ثم ألغيت منه المادة التي تفرض هذا العقاب فلا يطالب المعتصبون الآن الا على ما ينتج عن اعتصابهم من المشاجرات ورفع المعتصبون في مصر امرهم الى اللورد كرومر على ما جاء في المقطع فكتب اليهم اسفاً من وقوع الخلاف بين العمال واصحاب الاعمال واملاً ان تزول اسباب ذلك يبحث المختلفين بحثاً حبيماً بلا اعتصاب عما يعود بالضرر الوقتي او الدائم على العمال وعلى اصحاب الاعمال وعلى الهيئة الاجتماعية لازالته . ثم قال انه لا يبدي رأيه في شكوى العمال ولكنه يقتنم هذه الفرصة لابتداء بعض الآراء التي يجب عليه ابدائها لحكومة الجناب العالي في مثل هذه الاحوال وهي

اولاً . يجب على الحكومة ان تلزم الحياد التام فلا تتدخل بين العمال واصحاب الاعمال بل تتركهم وشأنهم يفضون الخلاف بينهم على شرط ان لا يخالفوا قوانين البلاد ثانياً . ان تحافظ على الامن العام بجميع الوسائل الممكنة ولكن لا تستعمل الشدة الا اذا اقتضت الضرورة ذلك ثم ختم كتابه قائلاً ان الحكومة يجب ان تفعل كل ما تستطيعه لمنع كل عمل غير قانوني

يقصد به مس حرية واحد او أكثر من العمال والتعرض لهم في اعمالهم . انتهى
 فيتضح من ذلك ان الاعتصاب اصبحت الآن في مصر داخلاً في دائرة القانون اي انه من
 الاعمال التي لا يعاقب القانون عليها فلننظر اليه من الوجهة الاقتصادية ونبحث في حالة العمال
 الذين يقبلون العمل بالاجرة ولا يكثرون الشكوى فان هؤلاء يقولون ان ارباب الاعمال
 يربحون اموالاً وافرة فيجب عليهم ان يزيدوا اجور عمالهم ولو ترتب على ذلك تقليل ربحهم او
 طالت المدة التي يجمعون فيها ثروتهم . فهل هذه الشكوى حقيقية وجواباً عن ذلك نقول ان
 جمع الثروة الكبيرة من الاعمال الصناعية امرٌ قليل نادر فقد احصى بعضهم الاعمال الصناعية
 فظهر له ان عشرة في المئة من اربابها ينجحون نجاحاً تاماً ونحو عشرين في المئة يفشلون فشلاً
 تاماً ونحو خمسين او ستين يتراوحون بين النجاح والفشل ثم يتغلب الفشل عليهم . فاذا عدنا
 بين الجميع وجدنا الربح معتدلاً جداً واذا سلطنا العشرة الذين ينجحون النجاح التام ارباحهم
 ضعف شأن الصناعة وكان الضرر عاماً من جراء ذلك . فخير البلاد وخير الصناعة يقتضيان ان
 يبقى بين ارباب الاعمال اناس يربحون الارباح الطائلة لكي يتسنى لهم ان يوسعوا نطاق الصناعة
 ويرفعوها والا فان اجبرناهم حتى يشركوا عمالهم في ما يزيد من ارباحهم نكون قد جعلناهم
 مثل الذين يتراوحون بين النجاح والفشل او مثل الذين يفشلون تماماً . وزيادة غرض في اجرة
 العامل الواحد يومياً لا يظهر انها امر كبير بالنسبة الى رب العمل ولا الى العامل ولكن اذا
 كان عند رب العمل مئة عامل او الف عامل فهذه الزيادة تذهب بكل ربحه او بما يستطيع
 ان يربي الاعمال به وينفق على المخترعات والمستنبطات لان العمال لا يشاركونه في الاتفاق
 عليها واذا لم ينفق هو انجحت صناعة البلاد ولم تعد تستطيع ان تناظر غيرها . ولا بد من ان
 يبقى عند رب العمل مال ينفق منه على معاملته وعماله وقت اشتداد الازم الصناعية او التجارية
 ووقوف حركة الاعمال وكساد اسواق التجارة فاذا لم نترك له الا جزءاً صغيراً من الربح
 نكون قد عرّضنا صناعة البلاد لخطر مبین بل للخراب والدمار

ويتضح من ذلك ان العمال لا يهتمون بالمستقبل ولا يهتمهم الا زيادة اجورهم في الحاضر
 واما ارباب الاعمال فلا يفلحون الا اذا نظروا الى الحاضر والمستقبل معاً واخذوا الاهبة لما
 يمكن ان يطرأ من الطوارئ فاذا ترك العمال شأنهم ولم يردعهم رادع عن الاعتصاب اوقعوا
 الضرر بالذين ينتظر منهم وحدهم نجاح الاعمال وحفظها من البوار وعاد الضرر عليهم ايضاً وعلى
 كل العمال معهم

ويزعم البعض ان الاعتصاب مفيد للعمال لانه من حين شرعوا يعتصبون في اوربا وامريكا

زادت الاجور من ٣٠ الى ٨٠ في المئة. وهذه النتيجة صحيحة ولكن ليس الاعنصاب سببها بل سببها ازدياد الثروة العمومية وتقدم العلوم الصناعية واتساع نطاق الاعمال. ثم ان الاعنصاب لم يشمل كل الاعمال ولكن الاجور زادت فيها كلها فالفلاحون الذين يعملون بالاجرة تضاعفت اجورهم عندنا في هاتين السنتين وهم ابعد الناس عن الاعنصاب وزادت اجور الخدم من برابرة وغيرهم وسبب ذلك ازدياد الثروة العمومية وازدياد الربح من الاعمال الزراعية

واسباب الاعنصاب ثلاثة وهي جهل القوانين الاقتصادية وجهل حالة السوق وطمع العمال او ارباب الاعمال. كما ان اسباب الجنايات ثلاثة ايضاً وهي جهل القانون وجهل واقعة الحال وسوء النية او الميل الى الظلم والظاهر ان الامل بتقليل الاعنصاب لا يزيد على الامل بتقليل الجنايات ومع ذلك وضع بعض علماء الاقتصاد السيامي قواعد من شأنها تقليل الاعنصاب او منع حدوثه وازالة الخلاف من بين العمال واصحاب الاموال سنأتي على ذكرها في الجزء التالي

عمران دمشق

« زراعتها »

منذ عهد النبط والرومان واليونان والعرب ما برحت الزراعة بحال تكاد لا تختلف في جماع ادوارها في قرن عن تاليه الا قليلاً حتى ان قارتي اوربا واميركا لم تطرحا الاصول القديمة وتجعلوا الزراعة علماً خاصاً برأسه يدرس في المدارس الا منذ نحو مئة سنة اما بلادنا فلم نزل نحافظ على تقاليدنا القديمة تنهض الحاجة بالفلاح فيجرت ارضه ويثيرها اضطراباً ويذررها ويعاهدها بالسقي ويحصدها ويدرمها بادوات لا تطلق عليها اسم الادوات الا تجوزا يتعلم هانئاً من ابيه ووليه. ويا رب كيف كان حال الفلاح هنا لو لم يكن من ورائه ذلك الخصب الطبيعي

وهذه سورية التي يضرب المثل بزكاء منابتها واعبدال طينتها وحسن مناخها وكثرة مياهها على كثرة حزنونها وجبالها ما فئت زراعتها كما عرفها الاسلاف بل كما عرفها الانسان منذ آلاف من السنين ما فيها شيء من العلم ولا المعرفة يعوزها كثير مما يجود فيها من النباتات والاشجار والهمم متقاصرة عن جلبه والايدي مقطوعة عن المران عليه. قال الرحالة قولني عند كلامه على مناخ سورية ان الارز يجرد زرعته على شواطئ بحيرة الحولة وان النيلة تنبت بلا عمل

علي ضفاف نهر الاردن في بيسان ولا تحتاج الا الى قليل من العناية حتى تستوفي الشرائط وبعد ان افاض في الكلام على مدن سورية كافة وما اخضعت به من انواع الثمار والاشجار قال ان دمشق تفاخر بحق لها الفخر بان فيها كل الثمار التي تحصل في ولايات فرنسا ثم ذكر ان البن الذي يزرع في تهامة واليمن تلائم زراعته ارض سورية ومناخها يلائم طبائع الثمار كلها فينبت فيها النخل كما ينبت العنص والسرو . ولا شك ان سورية كانت منذ القدم من احسن البقاع لذلك جعلها الرومان واليونان من اهم ولاياتهم وقراروا بينها وبين مصر في الحصب وجودة التربة حتي ان احد عمال الانراك سئل يوماً عن رأيه في سورية ومصر فقال " ان مصر مزرعة حسنة لكن سورية مصيف بهيج "

ومع ان الزراعة سائرة لعهدنا على الطرق القديمة العقيمة نرى البلاد خصوصاً قرى ضاحية دمشق متماسكة احوالها نوعاً على قلة ما يصدر من الغلات الى الخارج . ولعمري لو رُفِعَ عن الفلاح لاسيما البعيدات ساعات عن الحاضرة ظلم ملتزمي الاعشار وفرسان الدرك وجباة الاموال الاميرية وقُلِّلَ من عدد الاعانات التي يقضي عليه دائماً ان يدفع قسطه منها مضاعفاً بالجبر والقوة وأبطلت سخرة الانسان والحيوان الى المطارح الشاقة النائية لغدا ما يدعى بالغوطة من هذا البلد الامين زهرة البقاع والضياع والنموذج الحقول في سائر الاصقاع

ومنذ خفّت وطأة المصادرات في الظاهر واطمان ارباب الاراضي الواسعة على املاكهم وانتشر الامن في الاطراف بطبيعة الزمن حسنت والحق يقال حال المزارع وتوفر اهلها على استثمارها واستنباتها بحيث اصبح ما يحيط بدمشق منها عامراً بصنوف الثمار والغلات بدرلنا وعسلاً . اما ما هو وراء الجبال من القرى فحالها سيئة . هناك تنفج مسافة الخلف وينفج ميدان الخبث فيبسط ارباب النفوذ ايديهم عليها وحال الفلاح ثمت كما كان حاله في روسيا قبل مئتي سنة يباع مع الارض كما يباع الزنجي الرقيق وهيميات ان يحصل الا بشق النفس قوته من الخبز القفار المعمول في الملة من الذرة او الشعير والغني منهم من يأكل خبز الحنطة ويدوق اللحوم مرة في الاسبوع وقس على ما ذكر ما لم يذكر

واهم محاصيل البلاد الحنطة والشعير والذرة والفول والعدس والبيقية والحلبة والفضة والقنب والزيتون والجوز واللوز والمشمش والدراق والبطيخ والخيار . والبقول اعلى اختلاف انواعها تُنبَت غالباً في الحدائق القريبة من هذه المدينة . قال البدري وكان حكام اليونان اذ ردعوا هذه الرياض والازهار في سفح جبل قاسيون لحكمة وهو انه يقيها البرد وكونها في دائره وان النسيم اذا مر بها يحمل منها ما استطاع ويسري به الى من تحتها من اهل المدينة والسكان

ومن اهم الغلات الصيفية في الغوطة القنب الذي يزرع في اثنتين وعشرين قرية عدا الحدائق المجاورة لدمشق وذلك للانتفاع بقشره وبزره . يعتاش بهذا الموسم الوف من الخلق ويشغل الفلاح السنة بطولها فقد يذره في آذار او نيسان ثم يتعهده بالسقي والتعشيب الى اواخر ايلول وعند ذلك يقطع من الارض وقد اربى طوله في الغالب على ثلاثة امتار فيجزمونه حزمًا وينقعونه بالماء في منافع خاصة به نحو اربعين يومًا ثم ينشرونه ويأخذ النساء بنزع قشره عن عوده حتى اذا كشط يحزم فيبياع الرطل الشامي من قشره غالبًا بستة الى تسعة قروش نعل منه الحبال وغيرها . وقد يصدر منه قليل مما يفيض عن حاجة البلاد

ورائحة المنافع تضر كثيرًا بصحة اهل القرى القائلين على معالجة القنب اذ تنبعث منها روائح كريهة وجراثيم قتالة تراهم من جرائها صفر الوجوه ضئال الاجسام لكثرة ما يتعرضون له من العفن . ولو كان هذا القنب يجود في قرى البلاد المتدنة لعُنت حكومتها برفع اضراره عن رعاياها ولو كان القنب يُغمر بالمياه على هذا النحو في فصل الصيف لهلك ثلاثة ارباع السكان المارسين لصنعه ولكن المستنقعات قد لا تضر في الشتاء ضررها في الصيف

هذا وقد كانت قديمًا في دمشق اشجار وانواع من الثمار متنوعة ابلاها الزمن . قال كاتب جلبي ان في خندق قلعة دمشق اشجارًا مثمرة وشجر الكستانة والمشمولة واعني البيسيم وهو شجر مثمر كالاجاص ولا كستانة ولايسيم لهذا العهد . وهنا ننقل فصلاً ذكره صاحب بحاسن الشام في انواع الزهور والثمار في القرن التاسع فقال :

الورد جنس تحته ستة انواع بدمشق خلا الاسود . والزرجس وتحته انواع كاليغفوري والبري والمضعف . والبنفسج انواع عراقى ومليجى وايض . والياسمين وهو بلدي وتوتى وعراسي واصفر . والمنثور اصفر وايض وبنفسجى وازرق . والسوسن ابيض واصفر وازرق . والزنبق والبهار والارديون صنف من الاقحوان منه ما نواره اصفرومنه ما نواره احمر . والبابونج والاس . والريحان جنس تحته انواع ترنجي وجماجي وطثري وطراطيري وجمام . والنم وشقائق النعمان واللينوفر اصفر وازرق وبنفسجى واحمر . والبان . والترحنا كان يطلع خارج المدينة في الغور وفي الارض الحارة من قرى الشام ويعمل منه دهن . والحيلاف شجر يشبه الصفصاف غير انه في اوائل الربيع تصنع جميع اغصانه بالاحمر كقضببان المرجان . والزرنخت والسرو . قال فان حكماء اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الازهار ورأوا جانب الارض القبلي اخثاروها لغرس الاتجار فنه المشمش وهو واحد وعشرون صنفًا بدمشق . حموي . سنداني . اويسى . عربلي . خرا . اني . كافوري . بعلبي . لقيس . لوزي . وزيري . كلابي . سلطاني .

حازمي . ايدمري . منيني . بردي . ملوَّح . ضراط البخاتي . جلاجل القلوع * ومن محاسنها
 القراصيا وهي سبعة اصناف . رشيدية . بعلبكية . افرنجية . رومية . طعامية . برزة . فيجينة *
 والكثيرى اي الانجاص وهو اصناف . عثماني . عيلاني . خلاني . سمرقندي . صيني . ملكي .
 صقلاني . مغازلي . پيرودي . رحبي . وربي . قناديلي . خنافسي . معنق . همروري .
 عريب . بعلبكي . ماوردي . عقرباني . شتوي . صيفي . سكري . قهلي * ومن محاسنها التفاح
 وهو اصناف كثيرة بدمشق نذكر بعضها . سكري . مسكي . فقهي . صيني . شتوي . صيفي .
 قاسمي . فاطمي . قحايي . فضي . حديتي . جناني . حرساني . لبناني . حلواني . رهشاي .
 اخلاطي . قصري . بربري . نبطي . ماوردي . بطيخي . مجهول * والداراق . وبسي في
 القاهرة خوفاً وهو اصناف بدمشق منها . خواجكي . رصاصي . حمصي . نيرباني . لوزي .
 لزنيق . لقيس . كلاي . صالح . غثي . مطغري . سافري . صوري . زهري . لح الجمل .
 مجهول * والاجاص ويسميه اهل الشام الخوخ كان يوجد بها اصنافاً صيفي . زجاجي . قهري .
 اسود . عين البقر . خوخ الدب . خوخ الطعام . اغبر . سفير . حابكي . برقوق . مجهول .
 برزة * والزيتون . والمان بدمشق اصناف شوبكي . بردي . ماوردي . مليسي . كوفي . برجيني .
 سجاقي . سويحي . مصري . سلطاني . محجر . مطوق . تدمري . لقيط . حصوي . طقاطي .
 قطي . مشبه . حامض الطعام . لفان . رأس البغل . مجهول * والبطيخ اصناف والغب
 كذلك منها بلدي . خنارسي . عاصمي . زيني . بيتوني . قناديلي . افرنجي . مكاحلي .
 ييض الحمام . حلواني . بوارشي . جبلي . قصيف . ابزاز الكلبة . قشلبش . كوتاني . عبيدي .
 شحاني . جوزاني . داراني . مخ العصفور . عرايشي . رومي . مشهي . نبطاني . عصيري .
 رناطي . درق الطير . سقاقي . جرصي . مجذع . شفراوي . دربلي . قاري . علوي .
 عينوني . موري . مسعر . مسقط . مرصص . مخضر . مقوص . حماري . تفاحي . رهباني .
 زردي . مبرد . مخصل . مغازلي . شحمة . القرط

ومن محاسنها اللوز وهو اصناف منه الجلي . قسطاسي . عربلي . عقايي . بندي . شحفي .
 والخشخاش والسفرجل والبطيخ الضميري الاصفر والسمرقندي والسلطاني والشامي والمخطط
 الاصفر وهو المسمى بالشمام ويسمى بمصر باللفاح * والتين وهو انواع منه البرزي والمزي . ماسوني .
 رومي . بعلبكي . كعب الغزال . غريب . طيفور . شتوي . جبلي . حفياني . ملكي . علي .
 مكاتب . مجهول . درق الطير * والخيار والقثاء والهلون والطرخون والكرنب والقنبط
 والباذنجان . الكراث . الجزر . الزعفران . الفجل . الذاب . النعناع . الرشاد . البقلة . الاسفاناخ

والكرفس والسلق والبصل والثوم والكسفرة والكراويا والكمون والقرع والكهانة واللوبيا والارز
والباقلات والذرة والدخن والماش والقرطم والعدس والسمسم وبزر قطونا والتمرس والحمص والحلبة
والخس والبنديق والجوز والفسنق والتوت والرطب والقصب والاترج والليمون والنانج وزهر
القرنفل والخزام والشيح والسناق والزعرور والزيزفون والخرنوب والريباس والصنوبر والقلقاس
والموز وقصب السكر والقنب ١٠هـ

واعلم ان بعض هذه الانواع فقد لعهدنا كالقراصيا والخرنوب والصنوبر والموز وقصب السكر
وقد استجلب بعض الاعيان المولعين بالزراعة شجرًا كثيرًا مما لم يكن يعهد عندنا كالاوكالبتس
والاكاسيا والشمش الهندي اما النباتات والبقول الحديثة فكثيرة جدًا

« صناعتها »

كلما تأمل الناقد الخبير في صناعة الفخياء سابقًا وصناعتها لاحقًا ينجلي له سرّ قول ابن خلدون
ان الصنائع لا بد لها من العلم وانك تجدوها في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا
البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة
الى الفعل وان على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأق فيها حينئذ واستجداد ما يطلب
منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة وان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة
وطول امددها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استجرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص
بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها
في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول
الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها . وان الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق
سوقها وتوجه الطلبات اليها وانه اذا ضعفت احوال المصير واخذ في الهرم بانتفاض عمرانهم وقلة
سكانهم تناقص فيه الترف ورجع اهله الى الاقتصاد على الضروري من احوالهم فتقل الصنائع التي
كانت من توابع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فيفر الى غيرها او يموت ولا
يكون خلف منه . ثم قوله ان العرب ابعد الناس عن الصنائع وانما رسيخت في الشرق منذ ملك
الامم الاقدمون من الفرس والنبط والقيبط وبني اسرائيل ويونان والروم احقابًا متطاولة فرسيخت
فيهم احوال الحضارة ومن جملة الصنائع

نعم ان صناعتنا منجطة كسائر احوالنا في العمران لكننا تفضل صنائع جميع مدن سورية
اللهم الا ما تجد حديقًا في فلسطين من صناعات اليهود والامان فانها عندهم على حصة موفورة

من الاستجادة والتمنيق . ويتعذر الآن ان نأتي على تفصيل صنائعنا بعد الاسلام فما بالك قبله واخبرني احد ثقات العلماء ان لابن الصانع الدمشقي منظومة في ثلاثة آلاف بيت في الصنائع فيها ولا شك كثير مما يعوزنا من الايضاحات

ولقد علم بالاستقراء اجمالاً ان صنائع دمشق كان منها البسيط او الضروري والمركب او الكمالي وان امهات الصنائع كلها كانت مستحكمة ملكتها فيها شأن كل مصر تحضر . ولما استوفت عمرانها على عهد الدولة العباسية الى ما بعد الحروب الصليبية صار للصنائع شأن يذكر نجد تفاصيلها بالعرض . معثرة في تضاعيف الكتب . مثال ذلك ان السلطان صلاح الدين يوسف لما كان محاصراً عكا سنة ٥٨٦ وكاد ييأس من فتحها لان الصليبيين كانوا قد اصطنعوا ثلاثة ابرجة من خشب وحديد والبسوها الجلود المغشاة بالخل بحيث لا تنفذ فيها النيران ويسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر جمع الصنائع من الزرقاقين والنفاطين وباختهم في احراقها ووعدهم عليه الاموال الطائلة فضاقت حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي يعرف بعلي ابن عريف النحاسين فذكر ان له صناعة في احراقها فطبخ ادوية لذلك مع النفط في قدور من النحاس حتى صار الجميع كأنه جمره نار ثم ضرب البرج الواحد بقدر فاشتعل من ساعته وصار كالجلجل العظيم من النار ثم رمى الثاني والثالث فاحترقا كلاهما . ومن الصنائع التي كانت في هذه العاصمة فابلتها واربابها الايام

(القيشاني) فقد كانت قاعات دمشق وقصورها ومبانيها العامة مملوءة منه مزدانة به ولم تزل تشامد منه قطع في بعض جدران دورها وجوامعها وحماماتها كما انه كانت تعمل منه الفساق والسلسبيلات والباذهنجات والقيام والزهرات والقلل وغيرها وحدث ما عثر عليه من القيشاني سلسبيل بجدار جامع الدرويشية عليه تاريخ سنة ٩٨٢ . والغالب ان هذه الصناعة فقدت من دمشق منذ زهاء مئة سنة وظهر لبعض الافاضل ان القيشاني يعمل من الرمل الابيض والجبس يجبلان معاً ويفرغان في قوالب على الشكل المطلوب وتكتب على سطوحها آيات او احاديث او اشعار او ترسم عليها نقوش مختلفة بمواد ثابتة ويذر عليها مسحوق الزجاج او تطلي به ممدوداً بسائل غروي وتشوى في تنور معد لذلك فيسيل الزجاج ويكسوها قشرة رقيقة نقيها من الفواعل والمؤثرات زمناً طويلاً وتظهر النقوش والكتابات زاهية بالوانها الطبيعية (الفسيفساء) كانت تصنع بدمشق فتنوسي امرها منذ قرون وقد بقي منها بعض قطع في الجدار الشمالي من حرم الجامع الاموي رغم عدة حرائق اصابته وفي قبة الملك الظاهر ببرس . والفسيفساء فصوص مربعة من الزجاج الملون المذهب نلصق بالجدران مرصوفاً

بعضها بجانب بعض بحيث تُتألف منها نقوش وصور جميلة تمثل ابنية وازهاراً واشجاراً وغابات وحدائق وما ضاربها

(الزجاج الملوّن) وكان معروفاً بالدمشقي ويتخذ للزخرفة والزينة ومنه الاكواب والآنية على اختلاف ضروبها . ولشعرائنا قصائد لطيفة في وصف الزجاج والكؤوس بما لم يبق بعده غاية للإجادة ويثير الى تفنن الصناع في وضعها . وفقدت صناعة الزجاج ايضاً وانحصرت صنعة البسيط منه في دمشق باناس لا يمان عيشهم الا بشق الانفس وذاكرت احد شيوخ الشعراء من مديحي سورية واهل الوجاهة فيها فقال ان الزجاج كان يُصنع ايضاً في بلاد حوران واستشهد لذلك ببيت الاخطل القائل في تشبيهه

كأن طيور الماء في حلباتيه اباريق اهدتها قيافي اصرخد

قال ويحتمل ان قيافي كانت مدينة قرب صرخد في جبل الدروز يجاد فيها صنع الآنية الزجاجية فشبه الشاعر بها وشبب

(النقش او الدهان) هو من احسن صنائع دمشق القديمة يكون على الخشب والحجر ومن يدخل قاعة من القاعات القديمة بدمشق يرى مصداق هذا القول يرى الالوان زاهية زاهرة كأنها نقشت الآن وفي دمشق الى اليوم قاعات وابهاء واواوين مضي عليها زهاء مائتي سنة ولا تزال برونقها يخيل لك معها ان النقاش قد خرج منها الساعة فتدهش كما يدهش الداخل الى متاحف الآثار المصرية من نقوش يبيان الملوك وبني حسن وسقارة وكتاباتهما ورسومها وقد مضي عليها قرابة اربعة آلاف سنة على حين ان النقش المستعمل لهدنا ينصل لونه ويكهد في شهرور

(السيوف والجناجر) وهذه من الصنائع التي خُصت بها هذه العاصمة فاشتهرت النصال الدمشقية ولا شهرة الرماح السمرية والسيوف المشرفية ايام الجاهلية وعرفت بصفاء مائها واخضرار لونها وارهاف حدها ولطف فرندها يزيد بها حلاوة وظلاوة ما يكتب عليها من الآيات والآثار بماء الذهب . والغالب ان صناعتها انقرضت مع ما قرضه تيمور من صنائعنا لعهد المئة التاسعة اذ استنصب معه من دمشق بعض الاعيان واصحاب الفضل وكل ماهر بفن من النساجين والخياطين وصناع السيوف فكانت المصيبة بذلك على دمشق اعظم من المصيبة بالتخريب فذاك تخريب محسوس وهذا تخريب معنوي مبين . ولقد انتشرت هذه الصناعة والاوربيون لم يعرفوها الا في الحروب الصليبية مع انها على رواية كانت مستعملة قبل الميلاد عند امم ما اشتبهوا بجودة صنائعهم

(النحاس) وينسب فيقال النحاس الظاهري وذلك لما يظهر ان الملك الظاهر بيبرس كان من المنشطين لصناعته ايام ملكه سورية فنسب اليه تحبباً ولم تبرح هذه الصناعة معروفة ولها رواج تباع من السياح والافرنج باثمان رابحة وهي عبارة عن ثريات وجفارت وتعاليق ومصاييح وكؤوس ومباخر وقماقم وصحاف وموائد مصنوعة من النحاس الاصفر منقوشة في الغالب احرفاً لا تقرأ مع ان ما صنع منها في القرون الوسطى كان يكتب عليه بالقلم الكوفي ماله معنى في حد ذاته ولما استحوذ الجهل على اهل تلك الصناعة لم يعودوا يعرفون ما ينقشونه

(التنزيل) وهو نقش الحديد او الفولاذ بالذهب او الفضة او معدن آخر او نقل الخشب وتنزيل الصدف او خشب الليمون فيه. وكان عندنا قديماً من ارقى الصناعات فلما استعملت الاحوال كادت صناعته تفقد بته حتى جدد شبابها منذ بضع سنين وصارت مصنوعات رابحة في اسواق اوربا واميركا تزدان بها قصور الامراء والاعنياء. ونسبت صناعة التنزيل الى دمشق ايضاً فسميت بالافرنجية "داماسكين" لان الافرنج اخذوها عن دمشق. قال المؤرخ هيرودونس ان مخترعها فلوسيوس من مدينة صاقس وقيل ان الدمشقيين اخترعوها او اوصلوها الى درجة الكمال التي بلغتها عندهم

(النسيج) كانت الاصواف والحرائر والمنسوجات الغزلية بوشمها وحسن طرازها مشهورة في غابر الزمن عند الدماشقة وبمدنهم عرفت فصار يقال لها الدماسكو ولما قام قائم الصنائع الفرنجية واخترع احد صنائع الانكليز نسيج الشيت كاد يقضي على صناعتنا هذه ولولا رجل اسمه عبد المجيد الاصفر من اهل هذه الصناعة واخترعه القماش المعروف بالدما لبارت النساجة دفعة واحدة ثم ان رجلاً اسمه الروماني تفنن في المنسوجات الحريرية تفنناً عجيباً فلما مات ماتت الصناعة معه وتغلبت المنسوجات الاوربية لرخص ثمنها وكثرة تفننهم في تلوينها وتغيير اشكالها وطرازها وبالرغم عما تقدم لم تنفك هذه الصناعة متماسكة احوالها وفيها مرتزق نحو خمسة عشر الف نسمة من الدمشقيين ويزعمون ان ما يتعلق بها من الصنائع حتى تصلح وتصير اواباً يقرب من سبعين صنعة وبعض مصنوعاتهم تصرف في بر الشام وبر مصر وبعضها يسافر الى الاناضول والرومي

(الورق) كنت قرأت في بعض الاسفار ان ورق الكتابة كان يصنع بدمشق وله فيها صنائع ومكابس صغيرة تقوم مصنوعاتهم بحاجات هذه البلاد وقال سيد بلبو صنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية في سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية الحرير بالقطن الذي منه الورق الدمشقي المتحكم عليه مؤرخو اليونان. ورأيت كثيراً

من الكتب المخطوطة قديماً على هذا الورق فلم اميز بينه وبين ورق البردي في شيء ان لم يكن ورقنا الطف صفالاً واحسن متانة . واخبرني احد العلماء ان الافرنج ما برحوا متوفرين على كشف سر هذه الصناعة كما يحاولون ادراك غيرها . على ان من الورق الاوربي اليوم ما يضيي بتاتته الورق القديم او اكثر منه

(الصباغة) كان للصباغ الدمشقي صيت بعيد في سائر الاقطار لثبوت الوانهِ ولطافته لمعانيهِ وكانت اصباغهُ معدنية ونباتية لا غش فيها فلما تغلبت الاصباغ الغريبة بطل استعمال القديم منها بل نُسي امرهُ واعنيض عنه بالجديد المغشوش . وجودة الاصباغ القديمة كانت السر في اشتهار الديباغ الدمشقي قديماً حتى اوشكت لطافته ان تجري تجري المثل

(الدباغة) كان لدبغ الجلود شأن عظيم بحيث يكفي المحضر منه لامتهانات دمشق وضاحتها ويسافر منه الى البلاد الاخرى ومنذ شاع استعمال الجلود الافرنجية على اختلاف اجناسها ولعانها ومتانتها ضعفت تجارة الاديم المقروظ وبقي عملها محصوراً يقوم بعمل مبدوغاتهم احذية للفلاحين واهل الطبقة النازلة وبعض السروج والقرب والقلل

(العطور) كان للطيب ومستقطرات الزهور شأن خليق بالتسطير فقد ذكر شيخ الربوة ان العطر وغيره كان يستخرج في المزة — هي قرية غربي دمشق بها من صحة الهواء وصفاء الماء وحسن القصور وطيب الثمار ما بقي بعضهُ الى الآن — من زهورها وورودها حتى ان حراقة نلقي على الطرقات وفي دروبها وازقتها كالزابل فلا يكون لرائحته نظير ويكون الذ من المسك الى مدة انقضاء الورد . ثم ذكر صفة اخراجه في الكركات والانايق ورسم صورها . قال وغير هذه الكركة كركة اخرى يستخرج منها الماورد وغيره من المياه بلا ماء بوقود الحطب وذلك بعد حشو القراع بالورد وبلسان الثور وبزهر النوفر او البان او زهر النارج والشقيق والهندبا او بورك القرنفل الماروع بدمشق الى ان قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والى بلاد السند والى الصين والى ما وراء ذلك ويسمى هناك الزهر وما ارخوه انه كان لقاضي القضاة الحنفية ولاخيه الحبرية قطعة بارض تسمى شور الزهر طولها مائة وعشر خطوات وعرضها خمس وسبعون خطوة باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم وذلك سنة خمس وستين وستائة وهذا لم يسمع بمثله

وهذه الصناعة كانت معروفة على ما يظهر من كلام شيخ الربوة في القرن الثامن اما الآن فليس في المزة ورد يكفي لهذه العطور والمياه واعناض معظم اهلها عن الاشتغال بذلك بنسج

الحبال والخيوط من قشر القنب. وقد قام بدمشق في المدة الاخيرة بعض اناس يحسنون تقطير
العطر وماء الزهور الا ان ما يستخرجونه يصرف في حاجات المدينة لا سيما الماء كولات
والمشروبات اما للتطيب فقد جاءت العطور والادهان الافرنجية تنازع البلدية برخص اثمانها
واختلاف اجناسها

هذا وكان في الفيحاء صنائع كثيرة ربما يحقر شأنها البعض ولكن اذا انعم النظر بسجل
بانها تعد من موجبات الحضارة والارتقاء مثل صناعة الابرة المفقودة الآن بته. واكثر الصنائع
رواجاً واثقاً عندنا الآن على وجه الاجمال التجارة والنجارة والبنابة والنساجة والحداة والصباغة
والسكافة والحياكة والنحاسية وعمل السروج والاكاف

وقد كان ولا يزال لكل حرفة زعيم او نقيب او شيخ وكان يسمى شيخ الحرف كلها بسلطان
الحرافيش ثم كني عنه احشاماً بشيخ مشايخ الحرف والصنائع واليك ما قاله صاحب محاسن
الشام في وصف ما كان بدمشق من الصنائع:

ومن محاسنها ما يصنع فيها من القماش وهو النسج على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه ومنها
عمل القماش الاطلس بكل جنسه وانواعه ومنها عمل القماش السابوري بجميع الوانه وحسن
لمعانه ومنها عمل القماش الهرمزي على اختلاف اشكالها وتباين اوصالها ومنها عمل القماش
الابيض القطني المقصور لاهياء القصور واموات القبور. وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك
والمضروب والمجروح والمرفوع والممدود والمرصوع وفيها تعمل صناعة القرظية ودباغتها المرضية وفيها
تعمل صناعة الزنوط والاقباغ (كذا) وتحمل الى البلاد والضياع وفيها تعمل صناعة الحرير
بالقتل والدواليب وفيها تعمل صناعة السلاح بما فيه من الاعاجيب والاقتراح وفيها تعمل صناعة
الموشق والمدهون بما تحار فيه النواظر والعيون وفيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل
والنقوش وفيها تعمل الواح الصقال ودهن الواح صغار الكثاب وحفر القصع وتفصيل القبقاب.
قال وغالب ما ذكرناه من هذه الصنائع تبدل عليه ايدي الصنائع من الواحد بعد الواحد الى
ان ينيف على عشرة صناعات حتى يتم. واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمته ثم تعلم
الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثه من الحكماء للعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن
الاستاذين للتلامذة ومن التلامذة للصنائع هكذا نقله ابن جماعة

«تجارته»

يشهد العيان ويؤيد الحس ان هذا القطر كان فيما غبر ذا تجارة رابحة وعلائق مع البلاد
القاصية ناجحة وانه كان مركز الاتصال بين الشرق والغرب ودائرة حسن الصلات بين ما

كان يعرف من القارات فلما دالت الدول وطمع في الامر كل مهوس فعاث فيه العدو الداخلي والخارجي انقضت عليه القرون وهو في مهاوي الفتن متسكع وفي مهالك الانحطاط ساقط اذ كان الحكام يعدون اهله آلة لاغراضهم وخلائق لم يخلقوا الا لتتيم شهوات النفوس ورغائب الصدور ولذا لم ترج التجارة الا في الاحايين عند انبساط ظل الامن وعلى عهد الحكومات المسالمة العادلة وهذا من نادر بل من اندر ما تهيأ للبلاد

وبعد سقوط تدمر اصبحت الفيحاء سوقا للتجارة بين البلدان ودامت حالها بين ارتفاع وانخفاض وكث قليل من البضائع الافرنجية يجيء كل سنة مع الصرة الحجازية عن طريق الاسنانية برا الى ان انتبه الاوربيون في القرن الماضي وفتح الانكليز طريقا للهند من رأس الرجاء الصالح ثم خرقت ترعة السويس فتجولت التجارة اذ ذاك وانهقل ما بقي منها في دمشق الى بعض موافي سورية وبطل عمل القوافل التي كانت تروح وتعدو بين الشرق الادنى والاقصى وقل عدد الذين كانوا يمرّون بالمدينة من الاناضول وغربي آسيا للذهاب الى الحج فصار معظمهم يركب البحر الى البقاع الطاهرة تخفيفا من وعناء الاسفار وقطع المفاوز والقفار

فانحصرت التجارة ثمت في الداخلية واصبحت لا تتعدى حد الامتهانات والتصرفات المحلية وصار لها مواسم فلما تروج في غيرها . ولم تدخل المصنوعات الافرنجية بلادنا بكثرة الا عقيب اختراع السفن البخارية وشروع بعضها في الحجى الى سورية ولكن كانت متقطعة الوصول متباعدة الاوقات فلما استقام مجراها ومرساها جراً الناس على الاتجار وتضاعفت العلاقات التجارية بين سورية والاصقاع الفرنجية من حين الى آخر حتى اصبحت اهم المتاجرات بالواردات الافرنجية . وتجارها ولا خشية من الحقيقة خدمة للاوربيين ينالون لقاء انعابهم اجرة العامل والخدام وما بقي من تجارة الصادرات فاهمة المنسوجات القطنية والحريرية والمصنوعات الخشبية والحنطة والزيت والسمن والصوف وعرق السوس والشمش وبزره والقمر الدين والخروق البالية والبيض والجلود

ولو لم تكن دمشق باب الكعبة ومركز الفيلق السلطاني الخامس ومن اعمالها ١٢١٤ قرية وبلدة لها علائق معها مباشرة او بالواسطة ولولا ما يصرفه فيها الواردون اليها كل عام من الحجاج والسياح لسقطت تجارتها الى حضيض لم يسمع بمثله من الكساد والفاقة بل لولا قلة معرفة القوم واستفادة كل من صاحبه ما يقوم باوده لافيت الحال انعس ما يكون . وما يضحك ما رواه صاحب المحاسن ان ما كان يحمل من دمشق الى الديار المصرية في القرن التاسع عشر قانات انفردت بها وهي قصب ذهب . قبع . قرضية . قرطاس . قوس . قبقاب . قراصيا .

قر الدين من الشمس . قريشة . قنبريس . اما الآن فليس من احصاء يوثق به لمعرفة صادراتها ووارداتها واعناد بعض القناصل على اخراج احصاءات بذلك كل سنة الا ان ارقامها تخمينية لا يعتمد عليها ولا يركن في التحقيق اليها . انتهى
محمد كرد علي

فتح المكسيك

(تابع ما قبله)

سار اسطول كورتس حول خليج المكسيك بعد الفوز المبين الذي وصفناه في الجزء الماضي ورأى جماهير الاهالي على الشاطئ متهللين بقدومه اليهم حاسبين انه اتى الاتجار معهم غير عالمين ما خبي لهم في جعبة الزمان حتى اذا بلغ الاسطول جزيرة صغيرة بينها وبين البر مرفأ أمين رأى كورتس ان يلقي مرساته فيه خاسباً ان الجزيرة ثقيه عصف الرياح التي تعصف هناك في اواخر الربيع . ولم تكد سفنه ترسو في ذلك المرفأ حتى اسرع الاهالي الى قارب صغير مصنوع من شجرة مجوفة فنزلوا فيه واقربوا من سفينه وصعدوا اليها بوجه باش ومحياً طلق كن يقابل صديقاً آتياً من سفر . واتوا معهم بهدايا من الاثمار والازهار وبعض الحلى الذهبية . وحاول كورتس ان يتكلم معهم بواسطة الترجمان فوجد انه لا يعرف لغتهم فأسقط في يده وحرار في امره ثم قيل له ان واحدة من الجواري اللواتي اهدين اليه في تابسكا على ما ذكرنا في الجزء الماضي تعرف لغة هؤلاء الاقوام . وهي مكسيكية الاصل ولدت عند التخوم الجنوبية من بلاد المكسيك وتوفي ابوها في حداتها وكان من رؤساء بلادهم ومن ذوي الثروة الطائلة فيها فتزوجت امها برجل آخر وولد لها ابن منه فسوّلت لها نفسها ان تعطي ميراث ابنتها لابنها فصبرت الى ان توفيت فتاة من جواريها فادّعت انها ابنتها واعطت ابنتها لئاجر من بلاد بعيدة فمضى بها وباعها من رئيس بلاد التابسكو وهذا اهداها الى كورتس على ما تقدم . وكانت هذه الفتاة تعرف لغة المكسيك لانها لغة قومها ثم تعلمت لغة تابسكا مدة اقامتها فيها فصارت تترجم اقوال هؤلاء الرجال للترجمان اغويلار وهو يترجمها لكورتس الى الاسبانية او لغة قشتالة . وسُمي الاسبانيون هذه الفتاة مارينا وسندعوها بهذا الاسم في ما يلي وكانت ذكية الفؤاد فتعلمت اللغة الاسبانية حالاً فجعلها كورتس ترجماناً له وحظيت عنده فتزوج بها وولدها ابنه دون مارتن وكانت على جانب عظيم من الجمال بشوشة الوجه طليقة الحيا كريمة الطباع احبت كورتس وخلّصته وخلّصت رجاله من مهالك كثيرة لكنها لم تسر بما حلّ بقومها

بل شاركهم في مصابهم فأكرمها الفريقان معاً

وعلم كورتس من القوم الذين نزلوا الى سفينته انهم من مملكة المكسيك العظيمة وان بلادهم ضمت حديثاً الى تلك المملكة واسم ملكها منتزوما وعاصمته في سهل مرتفع في اواسط البلاد تبعد نحو مئتي ميل عن الساحل وعليهم وال من قبله اسمه تهليليل يسكن على ٢٤ ميلاً من البحر. واخبرهم كورتس انه آت للتجار معهم وانه يود ان يرى الوالي. ولما علم منهم ان سيف بلادهم كثيراً من الذهب صرفهم بالهدايا الكثيرة وهو يحسب انه نال ما تمنى

وفي اليوم التالي نزل الى البر برجاله حيث بنيت مدينة فراكروز بعدئذ وصارت محط تجارة اوربا والمكسيك. وكانت الارض سهلاً منبسطة تخللها كشتبان الرمال فنصب مدافعه عليها وقطع الاشجار والانجم وبني منها خياماً لرجالهم وكان خبره قد بلغ الوالي فبعث اليه رجالاً يساعدونه على بنائها فدقوا اوتادها في الارض ونصبوا حولها الاغصان وغطوها بحصر وشقق من القطن اتوه بها

ونقاطر الاهالي من كل البلاد المجاورة لمشاهدة الغريباء وجلبوا معهم كثيراً من الاثار والازهار والبقول والطيور والاطعمة المختلفة وقليلاً من الخلى الذهبية فاعطوهم بعضها هدية وقايضوهم من البعض الآخر بالادوات الاسبانية حتى امتلأ مخيم الاسبانين من اهالي المكسيك رجالاً ونساء. وعلم كورتس من بعضهم ان الوالي عازم على زيارته في اليوم التالي. وجاء الوالي كما قالوا بموكب عظيم فاستقبله مخفوقاً برجاله وقواد جيشه وكان اليوم عيد الفصح فوقف كاهن كورتس وقام بالخدمة الدينية فاصغى المكسيكيون اليه بالاحترام التام ثم قدم اليهم الخمر الاسبانية ونقدم التراجمة فسألوا كورتس عن غرضه وعن البلاد التي جاء منها فقال لهم انه من رعايا ملك رفيع الشأن واسع السلطان يسكن عبر البحر ويتسلط على مملكة واسعة الارحاء ويخضع له كثيرون من الملوك والامراء وقد بلغه ان ملك المكسيك من الملوك العظام فاوفده اليه بهدية سنوية ورسالة امره ان يسلمه اياها بدءاً ليد. ثم سأل الوالي عن اليوم الذي يسمح له فيه بالثول لدى مولاه

فنظر اليه الوالي نظر الاستغراب وقال له لم يحض عليك سوى يومين في بلادنا فكيف نطمع برؤية ملكنا ولكن ان كان ملكك من العظمة والسودد على ماوصفت فلا شبهة في ان مولاي الملك يسر برويتك وسأرسل هديتك اليه مع رسلي ومشي بلغني اوامره لا اتأخر عن ابلاغها اليك

ثم امر غلامه فاحضروا الهدية التي جاء بها وهي عشرة احمال من المنسوجات القطنية

الفاخرة وحال كثيرة من ريش الطيور بديعة النقش والبرقشة تزري بصور امهر المصورين
وسلة مملوءة بالخلي الذهبية . فدهش الاسبانيون من هذه الهدية واستدلوا منها على نزوة
البلاد وفرط غناها

وقبل كورتس الهدية شاكرًا وامر رجاله ان يحضروا الهدية المرسلة الى ملك المكسيك
وهي كرسى كبير جميل النقش وقلنسوة حمراء عليها نشان من الذهب وشيء من الريان
والاساور وحلى من الزجاج ولم يكن الزجاج معروفًا في بلاد المكسيك فظنوه حجارة كريمة .
ورأى الوالي جنديًا لباسًا خوذته مذهبة فقال انها تشبه خوذته على رأس المهم كوتزلكوتل في
العاصمة وانه يود ان يراها الملك فقال كورتس انه يرسلها الى الملك عسى ان ترد اليه مملوءة
بتبر البلاد حتى يقابل بينه وبين الذهب الاسباني . ثم قال للوالي ان الاسبانيين مصابون
بداء في قلوبهم لا يشفيه الا الذهب ولذلك تراهم يتطلبونه في كل مكان . ولم يترك واسطة
تقنع الوالي برغبته في الذهب الا استعمالها

وبينا كان كورتس يحادث الوالي بواسطة الترجمان رأى واحدًا من رجاله مهتمًا بالكتابة
على قرطاس من النسيج الصفيق فنظر اليه واذا هو يصور الاسبانيين باكسيتهم واسلحتهم ولبؤن
الصور باحبار مختلفة الالوان وعلم من الوالي انه يريد ارسال هذه الصور الى ملكهم فيدرك
منها حقيقة الغرباء . فرأى كورتس ان يزيد دهشة الملك فامر فرسانه ان يعلوا صهوان
خيولهم وبقيّة جنوده ان يتقلدوا اسلحتهم وينتظموا كأنهم في القتال ثم بوقت الابواق وثجم
الفرسان والمشاة وداروا حول الوالي ورجالهم وأطلقت المدافع فدوى صوتها في القيعان ومرت
قنابلها بين الاشجار تمزقها ارباب فدهش الوالي ورجالهم وارتعبوا ولم يفهم المصور شيء من ذلك
فصوره كله وشرحه حسبما تحمله الكتابة المكسيكية وكانت سفن الاسبانيين راسية امام
الشاطئ منشورة الشراع كأنها جبال راسخة تكالت هاماتها بالثلوج فصورها ايضا

ويقال انه كان بين رجال الوالي رئيسان ناقمان منه ومن الملك فادركا غرض كورتس
وامرًا اليه انهما يريانه رسوم البلاد كلها ومواقع الضعف فيها ثم اتياه بهذه الرسوم فكانت
اكبر مساعد له على تدوين البلاد . ذكر هذه الزوايا واحد من الثقات ولكن لم يؤيدها غيره
ولا شبهة في ان كورتس وجد في البلاد كثيرين من الخونة او من الناقمين من ملكها فعاونوه
عليه كما سيجي

وعاد الوالي من زيارة كورتس بالموكب الذي جاء به بعد ان امر رجاله بتقديم ما يلزم
كورتس ورجالهم من الميرة الى ان ترد اوامر الملك من العاصمة

واسم الملك منتزوما كما تقدم او مكشيزوما وهو الثاني بهذا الاسم. اقيم ملكاً سنة ١٥٠٢ لما اشتهر به من البسالة والثقي لان ملوك المكسيك كانوا جامعين بين السيادة الدينية والديوية. ويقال ان معنى اسمه بلسانهم الرزين لانه كان على جانب عظيم من الرزانة. كان اولاً فارماً مغواراً اشتبك في حروب المملكة وابلى في اعدائها ثم انقطع الى خدمة الهياكل حتى اذا اختاره رؤساء بلاده ملكاً عليهم وجدوه في الهيكل العظيم هيكلاً الى الحرب يكتسب درجه وجاهه نسيبه ملك تزكوكا ببشره باخنيار قومه له وقد حفظت الخطبة التي تلاها علي مسمعه حينئذ ومنها قوله "من يرتاب في ان مملكة الازتك قد بلغت اوج مجدها اذ قد نصب الله القدير علي عرشها ملكاً تملأ حضرته كل ناظر رهبة. سقياً لك ايها الامة لانه قام فيك ملك نعتمد عليه اب في الضيق اخ في الشدة ذو نفس آية ترفع عن ملاذ الحواس ومطامح الكسل. وانت ايها الشاب المجيد ثقي بان الخالق الذي القى على عاتقك هذا العبء الثقيل بقوك علي القيام به وانه كان جواداً كريماً وسيجزل جوده عليك ويحفظك في عرشك اعواماً طويلاً" هذا ما تمناه رجال المكسيك لملكهم ولكن الزمان ابو العجب ونوائبه لا تصرفها الاماني وابدى منتزوما في بداءة ملكه ما توقعه منه قومه من الحكمة والدهاء فاخضع العصاة واسر منهم خلقاً كثيراً ولما قيد الاسرى ليزبحوا ضحية لمعبودهم كانت بين الجموع المزدحمة لرؤيتهم اناس من الاعداء اتوا متنكرين فكشف امرهم واخبر الملك عنهم فلم يغتظ منهم بل امر ان يجلسوا في مكان يشاهدون منه الاحنفال

ووسع نطاق مملكته في السنة الاولى من ملكه واصلح مجالس القضاء وكان يحول في الشوارع متخفياً ليقف على احوال رجاله واحسن جزاء الامناء منهم. واكثر من بناء الهياكل وتزيينها وجلب الماء الى العاصمة في قنوات جديدة وبني مستشفى للجنود في مكان طيب الهواء ثم غره نجاحه فاحتجب عن الناس واظهر العظمة والجبوت واستخدم اعظم عظماء شعبه في اصغراعمال قصره وصرف كثيرين من رؤساء الجند الذين كانوا في خدمة سلفه لانهم لبسوا من اصل رفيع. واراد احكم رجاله ان يصرفوه عن هذه الغطوسة فلم يستطيعوا ثم زاد غيظهم منه بوضعه الضرائب الفاحشة عليهم وابتزازه الاموال منهم وانفاقها في ملذاته وزخرفة قصوره واشدد ظلمه في البلدان التي فتحها فخرج شعبها عليه حتى اضطر ان يستخدم نصف مملكته لاختضاع النصف الآخر

ونوفي حليفه ملك تزكوكا سنة ١٥١٦ وتنازع ولداه الملك من بعده فانقسمت تلك المملكة الى قسمين احدهما محالف للملك المكسيك والاخر مخالف له. وكانت جمهورية تلاسكالا على

اشد العداء له وهي على صغرها قائمة برجال بواسل حفظوا استقلالهم مئتي سنة فلم يسقط
الغلب عليها

هذه كانت حالة البلاد يوم جاءها كورتس — ملكها ظالم غشوم والشعب نائم عليه كاره له
والحليف منقسم على نفسه والعدو مترقب القرص ولم تكن المملكة ضعيفة ولا شعبها ممن يستهان
به ولكن اسلحتها كانت دون اسلحة الاسبانيين ونظامها الحربي دون نظامهم وكان ملكها قد
ترك قيادة جيوشه لقواده وانقطع الى خدمة الهياكل والقيام بالحفلات الدينية
وكان اهالي المكسيك يعتقدون ان معبودهم كوتزلكوتل هجرهم الى حين ووعدهم بالعودة
اليهم ثانية وان مجيئه صار قريباً وقد حدثت حوادث طبيعية كثيرة منذرة بمجيئه فهاجت
بحيرة المكسيك وطفعت على العاصمة من غير نوء واشتعل برج الهيكل الاكبر من غير نار
وظهرت ثلاثة من ذوات الازناب وبدا من الشرق نور ساطع مستطير انتشر من الانقي الى
سمت الزاس وسمعت في الهواء اصوات مزعجة كمن يندب وينعي بالخراب وخاف الملك من ذلك
واستشار حليفه ملك التزوكوكا في ما عسى ان يندبر به لانه كان منجماً فقال له انه يندبر
بانقضاء ملكك وخراب مملكتك . وزاد المؤرخون ان اخت الملك بعثت من قبرها بعد دفنها
باربعة ايام وانذرته بسوء المصير اذا بقي على ظلمه وجوره

ولا شبهة في ان هذه الاقاصيص وامثالها تولدت بعد الفتح او في غضون سنة مما بقي في
النفوس من آثار الظلم او بنيت على حوادث طبيعية عادية زاد الوهم فيها مبالغة ولكن لا ينكر
ان كثيرين من شيوخ المكسيك وحكامها كانوا قد خوَّفوا ملكهم من سوء العاقبة اذا لم يرعو
مبينين له ان الظلم وخيم المرتع وعاقبته الدمار فلما وصل غريچلفا القائد الاسباني الى سواحل
المكسيك قبل كورتس بسنة اضطرب منزوما اضطراباً شديداً حاسباً ان آخرته دنت وان
صولجان الملك سينقل من اسرته الى اسرة اخرى . ثم فرَّج عنه لما مضى غريچلفا في سبيله
لكنه بقي موجساً شراً فاقام الديادة على المرتفعات لينذروه بمجيء الغرباء حتى اذا جاء كورتس
بلغه خبر مجيئه حالاً وامر والي الولاية التي نزل فيها كورتس ان يرحب به ففعل كما تقدم .
ثم لما وصلت اليه صور الاسبانيين تجددت مخاوفه وعقد مجلساً من مشيريه واستدعى اليه ملك
تزوكوكا وملك تلكوبان فاختلفت آراؤهم في الغرباء فمن قائل بوجوب مناوأتهم واخذهم بالحيلة
او بالقوة ومن قائل انهم ليسوا بشراً (لانهم ظنوا الفارس وفرسه حيواناً واحداً) واذا لم يكونوا
بشراً فالحيلة والقوة لا تجدان نفعاً وان كانوا وفوداً من ملك آخر فليس من العدل محاربتهم
ومهما يكن من امرهم فهم ليسوا من قوم كوتزلكوتل (الذي ابناً قبلاً انه رسول المكسيك)

لأنهم لو كانوا من قومه لما اهانوا ديانتهم كما فعلوا في تابسكو فليسوا ممن ننتظرهم . وكان ملك
التزوكا من المشيرين بمسألة الاسبانين والترحيب بهم
فاختار منتزوما طريقاً وسطاً بين الطرفين حاسباً انه خير الطرق وهو شرها فبعث الى
كورنيس بانقر الهدايا لكي يقنعه بعظمته وحاول جهده ليصرفه عن الدنو من عاصمته . فاعرب
له عن غناه وضعفه في وقت واحد

وظل الاهالي يبنون الخيام لرجال كورنيس كما امرهم الوالي حتى بنوا لهم اكثر من الف
خيمة وجاؤهم باللحم والسمك وانواع الفاكهة والخضر والبقول واقراصاً مصنوعة من الدقيق
واطعمة مطبوخة ومطيبة بالطيوب والافاويه

ولم تمض سبعة ايام من حين جاء الوالي حتى اتى وفد الملك الى كورنيس مع ان العاصمة
بعد اكثر من مئتي ميل . والوفد رجلان من اشراف المملكة معهما مئة عبد يحملون هدية الملك
واحد هذين الرجلين يشبه كورنيس شكلاً فاختر لهذا السبب ورأى الاسبانون فيه هذه
المشابهة فسموه كورنيس المكسيك وهذا يدل على ان المصور الذي صور كورنيس احسن
نصويره حتى استدلل المكسيكيون على رجل يشبهه

ودخل الرسولان خيمة كورنيس وامامهما الغلمان يباخر الطيب فوقفاً وسلاً بخفض اليد الى
الارض ورفعها الى الجبهة على جاري عادة المكسيك ثم نشر العبيد حصراً مكسيكية ووضعوا
الهدايا عليها وهي من تروس وخوذ ودروع من الذهب الخالص وعقود واساور من الذهب
ايضاً واحذية ومراوح وريش ممزوج باسلاك الذهب والفضة نظمت فيها اللاكلى والحجارة
الكرمية وهو مما يوضع في اعلى الخوذ والقلائس . واشكال من الطيور والحيوانات مصنوعة بالذهب
والفضة صنعة بدیعة وحلل كثيرة من القطن الدقيق كأنه الحرير في دفته وهي مصبوعة بالوان
مختلفة ويتخلل نسجها ريش بديع الالوان . وكان في الهدية الخوذة الاسبانية المشار اليها آنفاً
وقد ردت مملوءة بالذهب وطبقان كبيران محيط كل منهما ثلاثون قبضة احدهما من
الذهب والاخر من الفضة يمثلان الشمس وعليهما نقوش كثيرة بدیعة جداً قد رثن طبق
الذهب منهما بخمسين الف جنيه

فالتج الاسبانون بهذه الهدية لانها فاقت كل ما كانوا ينتظرون ثم قدم الرسولان رسالة
مولام فاذا هو يقول فيها انه مسرور بربط عرى المودة بينه وبين ملك عظيم مثل ملك اسبانيا
وبأسف لان بعد عاصمته عن الشاطئ يمنع من رؤية وفود هذا الملك لاسبانيا وان الطريق
اليها مخوف بالمخاطر فما على الوفود الا ان يرجعوا من حيث اتوا حاملين الهدايا التي تدل على

اكرامه لهم. فاغناظ كورتس من منعه عن دخول العاصمة لكنه اخفى غيظه وشكر الوفد وقال ان ما شملني به ملككم من الاكرام زاد رغبتي في التشرف بروفاة وصار يستحيل علي ان اعود الى بلادي واقابل مولاي الملك من غير ان احظى بمشاهدة من سافرت ستة آلاف ميل في اشد المخاطر لاجل مشاهدته. وطلب من الوفد ان يحمل رسالته هذه الى الملك ليسمح له بالمول في حضرته وارسل معه هدية صغيرة فيها بعض القمصان الهولندية وزجاجة فلورنسية مذهبة ومشغولة بالملينا. هدية صغيرة جداً امام هدية ملك المكسيك الثمينة فلم يسر الوفد بحملها ولا بحمل الرسالة وودع كورتس وهو يؤكد له ان طلبه لا يجاب

ونظر الاسبانيون الى هدية ملك المكسيك بعين الدهشة فقال بعضهم هنا الغني الوافر فلهم بنا اليه وقال البعض الآخر ان هذا الغني يدل على ملك ضخم وقوة فائقة لا قبل لنا بها فعليما ان نعود الى كوبا ونعرض الامر على الوالي ونعود بجيش اكبر وقوة اعظم. اما كورتس فكان مخلوقاً لاقتحام المخاطر لكنه لم يقل شيئاً بل قصد ان يثير النخوة في نفوس رجاله أولاً حتى يندفعوا من انفسهم الى اقتحام المخاطر

وكان الساحل وبمنايا كثير الحشرات فمض ثلاثون من رجال كورتس وماتوا ثم قل مجيء الاهالي اليه بالاطعمة وصاروا يغالون بها. ولم يكن المرفأ الذي فيه سفنه اميناً فبعث سفينتين تفشان عن مرفأ امين. وعاد وفود ملك المكسيك بعد عشرة ايام يحملون هدية أخرى قدر ثمنها بثلاثة آلاف اوقية من الذهب وفيها ثلاثة حجارة كريمة تشبه الزمرد المعرق بالايض ارسلت هدية الى ملك اسبانيا خاصة لانها اثنتي الجواهر عند اهل المكسيك لكنها لم تكن ثمينة في اوروبا. وكان جواب الملك انه يرفض بتاتا مجيئهم الى عاصمته وانهم قد نالوا الآن كل ما تمنوا فوجب عليهم ان يرجعوا من حيث اتوا

ولما عاد وفد ملك المكسيك هجر الاهالي مخيم الاسبانيين ولم يبق فيه احد منهم وخاف كورتس ان يهجموا عليه ليلاً فاستعد لهم لكنهم لم يفعلوا بل اكتفوا بهجرانه ولا شيء اضر بالجنود من قيامهم من غير عمل ولا سيما اذا كان فيهم كثير من الرؤساء وكل منهم يرمي الى غرض وكلهم حاسد لرئيسهم الاكبر. هذا كان شأن جنود كورتس وهو في ساحل المكسيك ولما راوا ان الاهالي قاطعوهم وانهم حفنة صغيرة في مملكة واسعة صموا على العودة وكاشفوا كورتس بذلك وهو عالم بما كانوا يضمرون فجعل يمنيهم وبينا هو يفعل ذلك جاء خمسة من الرؤساء لباسهم مختلف عن لباس اهالي المكسيك في اصابعهم خواتم من الذهب وفي انوفهم واذانهم خزم واقراط من الحجارة الكريمة فتحوا له باباً جديداً للامل كما سيجي

الشاذون وفضلهم

من مقالة للعالم انريكو فري الايطالي نشرها في مجلة المجلات الفرنسية

اذا رأى المرء شيئاً لم يره قبلاً فقد يتوهم انه لم يوجد قبل ان رآه ويبني على وهمه هذا نتائج غريبة في بابها. مثال ذلك ان الميكروبات وجدت قبل ان اكتشفها باستور بالوف من السنين غير ان معرفتنا بها في هذه الايام ولدت فينا الخوف منها حتى صرنا في قلق مستمر من الماء الذي نشربه والهواء الذي نتنفسه ومن طوابع البريد التي نلصقها على المخاطبات فنبلها بالماء عوضاً عن بلها بالسنتنا كأن الميكروبات صارت اضر بنا بعد ان اكشفناها مما كانت وهي مجهولة لدينا والواقع ان تقدم علم البكتيريولوجيا وزيادة معرفتنا بالميكروبات واحوالها سيجهلانا في ما من منها فقد وجد ان بينها انواعاً مفيدة جداً وانه يمكن انتقاء الضار منها بالنافع وبالوسائط الميجينية. ولا بد ان نألف الفكر بانها موجودة دائماً فينا فلا نعود نخشاه لان جسد الانسان لا يخلو منها ابداً ومرضه وصحته يتوقفان على حالة جسمه العمومية فاذا كان قوياً قاوم الميكروبات القتالة وتخلص منها والا اوردته حنفة

ويشبه اعتقادنا بالميكروبات بعد اكتشافها ما نعتقد اليوم بميكروبات الهيئة الاجتماعية وهم الذين شذوا عن القياس ككبار المجرمين ونوابغ الرجال بعد الذي كتبته عنهم علماء الاخلاق من مودل الى لمبروزو. وهؤلاء الشاذون لم يخل منهم مكان ولا زمان لكننا كنا اذا قرأنا شيئاً عن نيرون ومذابحه الفظيعة او عن غيره من العتاة خلنا ذلك امراً غالياً للألوف مخالفة زينة قديم للازياء الجارية الآن وعللناه بقولنا انه شذوذ من شواذ الطبيعة. اما الآن وقد درس العلماء احوال هؤلاء الاشخاص وقابلوهم بجمهور الناس فانضح لهم وجود نوع من الناس لم يحلموا به قبلاً وتحققوا ان بني آدم قسمان شاذون واعتياديون او غير شاذين

اتفق منذ مدة افي زرت الاستاذ لمبروزو في تورين وبينما نحن نبحث في ما كتب حديثاً في علم الاخلاق اتاه تلغراف من جريدة النيويورك هـرالد تسأله فيه ان يوافيها بجواب تلغرافي طويل على السؤال الآتي وهو "ما هو الانسان الاعتيادي" ونعده باجرة كبيرة عليه. وسبب طلبها هذا ان الجرائد الاميركية كانت تكتب اذ ذاك المقالات الطويلة اثناء المحاكمة في حادثة قتل مهمة وتنشر صور القتلة الواردة في كتاب الاستاذ لمبروزو عن "الرجل الجاني" وفي كتابي "عن القتل". ولا بد من ان قراء النيويورك هـرالد خاب انتظارهم لما طالعوا

جواب الاستاذ لمبروزو لانه عوضاً عن النغني بمدح الانسان الاعنيادي او غير الشاذ وصفه وصفاً
تافهاً كقوله انه " يأكل جيداً ويشغل كثيراً وهو محب لذاته مواظب على اعماله صبور
اليق". وما اشبه هذا بما وصف به فكتور من الرجل العادي فقد قال انه ابن العادة عاقل
حائز للفضائل التي من الدرجة الوسطى يعيش عيشة راضية لقلته حاجاته

وقد قال مورل في كتابه بوجود مثال كامل للانسانية موافق لمعتقداتنا حتى يصح
ان يقال ان الخطاط طبيعتنا هو نتيجة الابتعاد عن هذا المثال الكامل. اما العلم
الحديث فقد اثبت ان الابتعاد عن هذا المثال ليس دائماً دليل الانحطاط بل قد يكون
مصحوباً بالارتقاء. وليس للانسان الاعنيادي صفات ذلك المثال الكامل الذي ورد ذكره
في كتب الدين بل هو نتيجة الانتخاب الفردي والاجتماعي ويختلف باختلاف احوال المجتمع
الذي يعيش فيه ويتغير بتغيره. ويصح ان يقال ان الانسان الاعنيادي اشبه بالثياب التي
تباع جاهزة فهي تغطي الجسد ولكنها لا تصلح لشخص معلوم. فهو كائن حي ينمو ويتوالد
ويورث ما ورثه من العقائد الفاسدة ولكنه لا يمتاز علي من سواه بشيء من الاشياء واذا
تصفحت كتب التاريخ لم تجد فيها ذكراً لغير الشاذين من الناس كالمجرمين والظالمين او الذين
امتازوا على غيرهم بالعلم والفضل اما الرجال الاعنياديون فلا يدري احد من اخبارهم شيئاً واذا
صح ما قاله نابوليون الاول عنهم امكنا ان نشبههم بالمشاة في الجيش الانساني

ولا ريب ان العالم مديون للشواذ بما ادخلوه فيه من الاصلاحات العظيمة وهم على نوعين
النافع والضار ويدخل تحت الاول جميع الذين سعوا في ترقية الهيئة الاجتماعية وتحت الثاني
ذوو المطامع الذين لم ينظروا الا الى مصالحهم الذاتية والمعتوهون والمجرمون ونحوهم من الذين
اضرؤا بجسم الاجتماع الانساني ولكنهم قليلون بالنسبة الى النوع الاول

فالعالم مؤلف من مقدار صغير من النفابات يعيش عليها ويحيط بها جمهور الناس
الاعنياديين وفوقهم الشواذ النافعون يديرون اعمالهم ويرفونهم الى الدرجات العليا. والشاذ
النافع هو من كان قليل المقاومة للافكار الحديثة محباً لغيره له غاية يسعى اليها بهمة ونشاط وثبات
رغمًا عن العقبات التي تلقى في طريقه المعتقدات القديمة التي يتمسك بها العوام تمسكاً شديداً
والنافعة هو الشاذ الذي يرى رأياً جديداً فاذا لم يكن في جو العالم الانساني العناصر
اللازمة لنموه اضمحل وتلاشى ويقاوم الاعنياديون هذا الرأي الجديد اشد المقاومة غير ان
سعي صاحبه في سبيل تحقيقه وتضييقه كل شيء في ذلك السبيل ونظرته فيه كل هذا بضمن
له الظفر في الخنثام رغمًا عن المزع والاضطهاد

ومهما يكن في هذا القول من الغرابة فهو مطابق للواقع . فقد نشر شخص يدعى اراسموس من اهالي روتردام في هولاندا في اوائل القرن السادس عشر رسالة سماها "مدح الجنون" اشتهرت في زمانها كثيراً . وقد شجبتها مدرسة السربون في باريس حال نشرها اما روية فاهلها طويلاً لان البابا ليون العاشر قال لما قرأها "ان في مؤلفها طرفاً من الجنون" ولم يزد على ذلك . قال المؤلف في اهداء الرسالة الى صديقه توماس مورس "للجمهور وحده" حق الحكم علي مؤلفي هذا غير اني ارى اني لم اكن مجنوناً تماماً حينما الفتة في مدح الجنون" وقد بحث اراسموس في هذا الموضوع من الوجهة الادبية غير ان مؤلفه لا يخلو من بعض الامور العلية وهاك بعض ما جاء فيه عن لسان المجنون دفاعاً عن نفسه :

"اذا صح ان الحكمة هي معرفة كيفية التصرف في الاشياء فمن يا ترى يصح ان يدعى حكيماً — الرجل الذي لشدة تحفظه وخشيته لا يجسر ان يشرع في عمل ما او المجنون الذي لا يوقفه خطر ينكر وجوده او حذر لم يشعر به قط عن الإقدام على الاعمال . الحكيم لا يستفيد من كتب الاقدمين سوى كلمات مركبة اما المجنون فيكتسب الحكمة الحقيقية وسط الاخطار واضطراب الاعمال وقد صدق هوميروس بقوله — ان المجنون يتعلم على نفقته الخصوصية

"وفي طريق الانسان الى الاختبار حجرا عثرة اولها الرجل الذي يظلم الافكار ويضيع الوسائل وثانيهما الخوف الذي يكبر المصاعب فيصرف النفس عن مقاصدها العظيمة اما المجنون فلا توقفه هاتان العثرتان

"ان الرواقيين^(١) انفسهم لم يحنقوا المذات واذا كانوا قد شجبوا امام الناس فما ذلك الا ليصرفهم عنها ويحفظوا الطيب منها لانفسهم . وهل يجسر اولئك المراءون ان ينكروا ان كل يوم من ايام الحياة حزن وشقاء اذا لم يضع الجنون شيئاً من المسرة فيه . لم يقل سوفوكليس ان الحياة لا تكون سعيدة الا متى غابت الحكمة (او بعبارة الشاعر العربي ما لذة العيش الا للجانين)

"والجنون نوعان اولها ما ترمي به الجن الى الارض فتشتعل الحروب ويسعى الناس وراء المال ويقتل الولد اباه ويرتكب الانسان الموبقات . والثاني بخلاف الاول نعمة للجنس البشري يظهر بهيئة وهم تعشق النفس فيزيل منها الهواجس والشجوف فتنهك في المذات العقلية والادبية فليس من الحسن ان يسمى كل نوع من الانحراف العقلي جنوناً"

(١) وهم طائفة من الفلاسفة يعتقدون انه يجب على الانسان ان لا يفرح ولا يحزن

فما رآه ارسطوس من الفرق بين الشاذ النافع والشاذ المضر ووصفه بعبارة اقرب الى الشعر منها الى غيره قد اثبتت العلماء اليوم بالادلة العلمية

والشاذون من النوع المفيد اشبه بالفراش يحومون حول جميع الانوار فاذا اتفق ان النور كان آلا كاذبا اي كان غرضهم دنيا او تقصد به مصلحة ذاتية كان اولئك الشاذون ممن يربني طفلا لا ترجى له الحياة . ولا يمنع هذا ان الشاذين النافعين هم سبب ارتقاء الحياة الاجتماعية لانا بواسطتهم اكتشفنا ما كان مجهولا وتحررنا من رق الجهل والغبوة وما ذكره لمبروزو عن "نفع الجرائم" وارتأه العالم وركبهم من ان الجنايات هي احد الشروط الصحية للجنس الانساني صحیحان ولكن يجب ان يراعى فيهما الفرق بين الجرائم المضرة والنافعة فالاولى اشبه بمرض في الجسم الانساني اما الثانية فلا وعلى نجاح الثانية يتوقف حسابنا من الاعمال الممدوحة او المذمومة فالثورة السياسية او الاجتماعية امر حميد اذا نتجت واصر مذموم اذا حببطت

وماذا نقول في النوايا ؟ قال الاستاذ لمبروزو ان النابغة هو من شد عن الحالة الاصلية وهو قول صحيح كاد يقبله الرأي العام لانه رآه مثبتا بالدليل العلمي . فالنوايا اناس شذوا عقلا وجسما لكنهم ما برحوا برهاناً قاطعاً على فائدة هذا الشذوذ وشذوذهم عقيم لانه لا يولد منهم اناس مثلهم لكن قوته لا تفرغ الا بعد ان يكون قد اضاء مشعلا من الحقائق المجردة انار به جمهوراً غفيرا من العامة او من الناس الاعنياديين . ومن غير الشواذ يغير القديم من التقاليد والعقائد ويزيل الخوف من السلطة والاستعباد لبعض الشواذ المضرين . فعلى اذن ان نعبد الى الشواذ حقوقهم المساوية وان نغير الرأي العام فيهم كما قد غيرناه في الجمال فصرنا ننقل عدم النظام على النظام ونفضل المرأة ذات الجمال الشاذ على ذات الجمال العادي

ويصعب علينا ان نبطل احترام الناس للاعنياديين فهو قديم جدا وقد مضى عليه قرون عديدة لم ينقطع فيها الا فترات قليلة حينما قام الشواذ وغالبوا العقائد القديمة وحاولوا نسخها وقد استنتج امون ولا بوج من ابحاثهما في علم الانثروبوسميولوجيا (الذي يستخدم مقياس الراس لمعرفة الارتقاء الاجتماعي) ان الناس الشقر ذوي الرؤوس المستطيلة هم الواسطة لارتقاء الجنس البشري ولذلك يستحقون وحدهم ان يتناسلوا . ثم اذ رأيا من ابحاث بروكا ان الانتخاب الاجتماعي يقضي على الشواذ بالموت في حال العزوبة او بالفقر ويسهل التماسل المرضى فلا بوجود الانتخاب القانوني اي انهما تدبرا ما قاله دارون وغلتون وهايكرفت عن صعوبة الاعثناء بالمرضى وذوي العاهات وقالوا بمنع تناسل مثل هؤلاء وبايجاد نسل نوعي مشابه

للمثال الكامل الذي وصفه مورل . وفي ذلك ما فيه من جعل الناس كلهم اغنياء بين ومنع تولد الشذوذ

ولم يرتق الانسان من حالة العجمية عندما كان يسكن الغابات ويصل الى حالة الحضارة الا بفضل الشواذ . وللانحراف عن الاصل وجهان احدهما قبيح ضار والاخر جميل نافع فلنتخلص من الاعجاب بالانسان الاعيادي ولنعود النظر الى الشاذين بلا خوف ولا احتقار ولندافع عن الضارين منهم معاملين اياهم بالشفقة لا بالآلات التعذيب التي ورثناها عن القرون الوسطى ولنعد الى الشاذين النافعين حقوقهم فقد نقحوا الانسانية بكثير من النعم والمواهب نسيم بربري

اللغة المكتوبة واللغة المحكية

لامراء في أن لغة العربية الفصحى او العربية المكتوبة جانباً امنع من حمى كليب واعز من جهة الأسد فما رمقها قط واحد بنظره او رماها بزهره الا صلاه انصارها نار حرب زبون يهون عندها شرب المنون ولو استطاعوا قلعوا عينيهِ وقطعوا يديه . إذا فليخضض حضرة القاضي ولمور عن نفسه وليقس ما لقيه في يومه بما اصاب غيره في امسه . فبرى في الحال صحبة الخبر . ويصغر في عينه الخطب على الاثر ويعلم انه لم يكن اوّل سار غره قمر اشار المقتطف في باب التقريظ والانتقاد من الجزء الماضي الى الكتاب الذي وضعه حضرة القاضي ولمور في اللغة الانكليزية وجمع فيه اللغة المحكية في الديار المصرية قاصداً بذلك تسهيل نشر العلوم والمعارف في اللغة العربية (المحكية) وتقريب منالها على الاجانب و اشار على الصحف العربية بأن تأخذ أخذه وتبذ اللغة المكتوبة وتستبدلها بالمحكية حتى اذا عملت بأشارته وضافرها على ذلك اهل الحل والعقد قضي على اللغة المكتوبة ونيل من ضررتها الغاية المطلوبة

فشن عليه ارباب الاقلام غارة شعواء وفيلوا رأيه وعدوه اسخف الآراء . ولشدة حنقهم منه وموجدتهم عليه حسبوا انه اوّل مخترق لحجاب العربية المصون وانهم هم اوّل من حمى ذمارها وذاد عن حياضها . وادوا او تناهوا أن كثيرين غيره طرقوا قبله هذا الباب واعترضهم حماة اللغة وانصارها مدافعين مناضلين . وسيظل هذا الباب معرّضاً للقرع والطرق حتى يزول الخلاف بين الضرتين ولا يبقى اثر لهذا الفرق

وكان المقتطف كما أشار في الجزء الماضي أوّل منبه على قصور اللغة المكتوبة عن الوفاء بحاجة الكتاب في هذه الايام ولكونه من اشد اصحابها غيره عليها قضى بوجوب الاحتفاظ بها وأشار بما حضره حينئذ من وسائل توسيع نطاقها وتعميم شيوخها في الالسنه مكان اللغة المحكية . وكان هذا العاجز من رأوا رأي المقتطف في المناظرة الاولى التي حدثت بين "الممكن" ومناظريه منذ احدى وعشرين سنة وفي المناظرة الثانية التي حدثت بعد ذلك بنحو ست سنين بيني وبين حضرة نعمة افندي شديد يافث^(١)

ولو أن انصار اللغة المكتوبة نبذوا من اول الامر التطرّف والمغالاة جانباً وجاروا المقتطف في الاعتدال وأقرّوا اقراره بنقص اللغة المكتوبة وقصورها عن مجاراة اللغات الاجنبية وفضوا هذه السنين الطويلة في البحث عما ينبغي اجراؤه لخدموها خدمة عظيمة ولم يتركوا باب التعميم عليها مفتوحاً الى الآن . لكنهم كانوا — عفا الله عنهم — كما رأينا هذه المرة في حملتهم على المستر ولمور يقصرون كلامهم على تسفيه رأي من يشير باستخدام اللغة المحكية لانها فاصرة ضيقة فاسدة الخ وزاد بعضهم هذه المرة نعمة جديدة في ظنور الدفاع بلغ بها حد الانحاز وغاية الابداع وهي ان حملة القاضي ولمور على اللغة المكتوبة مبطنة بمحكمة دينية يكرها الصليب على الهلال وما اعظم ما تبلغه السخافة من عقول بعض الرجال

اما المقتطف فقد أراه الاختبار الطويل ان اللغة المكتوبة لا تزال في حاجة ماسة الى ما يسد خللها ويتم نقصانها وان ما اشار به منذ احدى وعشرين سنة وصدّقه هذا العاجز في حينه واشار به غير مرة في جريدة ثمرات الفنون لم يجد فتيلاً ولا اروي غليلاً الا وهو شروع الاساتذة والمدرسين في مخاطبة التلامذة باللغة المعربة وتعويدهم النطق بها وعقد مجمع لغوي يحكم في النحت والوضع والتعريب . اما الاول فلأن أكثر الاساتذة لم يكونوا قادرين عليه لفقدان هذه الملكة منهم اولان المدارس انفسها لم تساعد على اتمامه جاعة التكلم باحدى اللغات الاجنبية من قوانينها الاساسية اولان التلامذة انفسهم لم يرتاحوا الى هذا الامر الذي لم يروا من ورائه جدوى تستحق ما يقتضيه من العناء الجربل والوقت الطويل . وحسبوا وهم مصيبون ان مزاوله تحصيل اصعب اللغات الاجنبية اسهل مطلباً وايسر مثلاً من محاولة تحصيل ملكة التكلم بالعربية الفصحى . وهب انهم تمكنوا مع طول الايام وملازمة الجد والاجتهاد من تذليل الصعاب وامتلكوا ناصية التكلم بالعربية المعربة طبقاً لقواعد صرفها ونحوها ومعانيها وبما نفاهل يجنون من ذلك فائدة توازي اقل منفعة يجودونها في تعلم اصغر اللغات الاجنبية شأناً ؟

واما الثاني اعني عقد مجمع لغوي فالفائدة منه مضمونة لا محالة وعليه وحده يتوقف خلاص اللغة المكتوبة من برائن اللغة المحكية والافني باطشة بها مفترسة لها عاجلاً كان او آجلاً ولكنه لسوء الحظ لم ينعقد بعد ولن ينعقد ابد الدهر الا اذا استوفى الشرطين اللازمين له وسأني على ذكرهما. ومن الغرور ان يتوهم البعض أن اللغة المكتوبة يمكنها اذا استتمت شروطها كلها ان تغلب على اللغة المحكية وتلاشيها وتحل محلها. ومن علل نفسه به فقدم كدم في غير مكدم. وطمع في ما لا مظمع وراءه ولا مغنم. وهب أننا ارضعناها لاطفالنا مع اللبن واستطعنا ان نخزجهم عليها في بيوتنا ومدارسنا وعقدنا لها احسن مجمع لغوي لما افاد هذا كله اكثر من صديار اللغة العامية عن الضموة عليها وابتناعها لكنه ما كان قط ليظمس معالم اللغة المحكية من الوجود ويدرجها في اكفان عاد وثمود. والفرق بين المكتوب والمحكي امر طبعي لا بد منه في كل لغة من لغات البشر ولا نقدر اعظم قوى العالم على ازالته. قال المقتطف "ولقد كانت العربية المحكية تخالف العربية المكتوبة من عهد ابن خلدون وما قبله ويظهر من ادلة لامل لبسطها هنا انها كانت تخالف العربية المكتوبة دائماً" وكثيرون من الباحثين في فلسفة اللغة العربية والفرق بين المحكي والمكتوب منها لا يقفون عند هذا الحد من الاستنتاج بل يتجاوزونه الى ما وراءه كثيراً جازمين بان اللغة العربية الفصحى لم تعد قط نطاق الكتابة منذ عهد نشأتها الى الآن اي ان العرب حتى في صدر الجاهلية لم يتكلموا بالعربية المنطوقة على الاحكام الاعرابية انطباقاً تاماً بلا زيادة ولا نقصان. نعم ربما لم يكن الفرق بين محكيهم ومكتوبهم عظيماً كما هو في ايامنا هذه لكنه كان موجوداً ولو زهداً كما هو الآن بين المكتوب والمحكي في كل من اللغات الاجنبية

واذا كان هذا الفرق موجوداً في كل لغة فلماذا هو في اللغة العربية اكثر منه في غيرها؟ ماذا يجيب المحامون عن اللغة المكتوبة وانا واحد منهم؟ واذا صح ان العرب كانوا في القديم يتكلمون اللغة العربية او كان الفرق بين محكيهم ومكتوبهم قليلاً كما هو الأرجح فلماذا حصل هذا الفرق او زاد على توالي الايام خلافاً لما ينتظر من انتشار المدارس والمطابع وشيوع الكتب والجرائد؟ لا سبيل للجواب على هذه الاسئلة كلها الا بهذا وهو ان اللغة العربية لا تصلح ان تكون لغة تكلم ولم توضع الا لتكون لغة كتابة وبيان ذلك ان المتكلم من طبعه يطلب الاختصار في حديثه ما استطاع الى ذلك سبيلاً اقتصاداً في الوقت وابتغاءً للبلوغ الى مقصوده من اقرب الطرق وأخصر التعابير والكلام المعرب طويل جداً اولاً بسبب حركات الاعراب وثانياً لعدم امكان الاختصار فيه كما في المحكي والكلمة المعربة يقتضي لفظها من

الوقت والمقاطع مضاعف ما يقتضيه لفظ كلمة عامية فالحديث الذي يقتضي سرده باللغة المحكية نصف ساعة اقتضى بالمكتوبة ساعة على الأقل . اذاً ليس في اللغة المعربة ما في اللغة العامية من الصلاحية للتكلم والمخاطبة ولذا قضى عليها قانون تنازع البقاء ان تجفوها الالسنه والشقاء . وتنبذها الافواه نبذ النواة . وينحصر استعمالها في تسويد بياض القرطاس بمداد الدواة . واذا لم يرق هذا الحكم في عين المعارض وانكر علينا صحته فلا نطالبه باكثر من بيان العلة لشيء اللغة المحكية وازهار السبب لحصول هذا الفرق العظيم بينها وبين المكتوبة فان استطاع اقتناعنا بان لذلك سبباً آخر غير انسبيتها اي كونها اصلح والنسب واسلس واسهل على الشفاء والالسنه من اللغة المكتوبة وافقه اء على كل ما يدعيه بلا استثناء . وزدناه ما شاء من الشكر والثناء ولو جمعنا ما كتب في لغتنا العربية منذ ثلثين سنة فقط عن اللغة المكتوبة واللغة المحكية لشغل مجلداً ضخماً يبلغ عدد صفحاته ألفاً او يزيد وقد ذهب كله باطلاً وانتهى الكتاب في كلامهم على هذا الموضوع الخطير حيث ابتدأوا فلم يقرروا فيه حقيقة ولا فصلوا خطاباً . وعلة ذلك فيما ارى تطرف الباحثين من انصار اللغة المكتوبة (واولهم انا) في التحامل على اللغة المحكية استسلاماً للميل والهوى او حرصاً على الاحتفاظ بالقديم او اكتفاء بالنزر القليل من التروي والامان او خوفاً من التصريح بما يخالف الرأي العام او لغير ذلك من الاسباب الواهنة التي لا تصح ان نتخذ كلها فضلاً عن واحدٍ منها اسماً لبناء اصغر الآراء واقل الاحكام نظرنا ما شئنا وبالغنا في صلاحية اللغة المعربة لكل مكتوب ومحكي . وغالينا في فساد اللغة المحكية وعدم صلاحيتها لشيء والواقع او الاخبار داحض لزعمنا مناقض لرأينا في الامرين كليهما وغاية ما يتكفئه من اعتماد اخامنا أن يقول لنا ” اذا كان الامر كما ذكرتم فلماذا لم يعم استعمال الاولى ويبطل استعمال الثانية ؟ “ . والباحث العاقل المنزه عن الغرض اذا سامل معنا في المناظرة وسلم جدلاً بعدم صلاحية اللغة المحكية — وهي على حالتها الراهنة — لأن تكون لغة مكتوبة لا يسمعه مطابقاً ان يسلم معنا بان اللغة المكتوبة صالحة — في حالتها الحاضرة لان تكون لغة محكية لانها غير كافية للتعبير عن كل ما يبدو لنا من الخواطر والافكار وسبب عدم كفاءتها ليس نقصاً اصلياً او قصوراً طبعياً فيها بل قلة المعروف او المتداول منها عندنا . ومعلوم ان اللغة التي لا تصلح عند التكلم والتخاطب ان تقضي حاجات التفاهم التي كثيراً ما يستعان على سد الناقص منها باشارات اليدين واعضاء الوجه وغيرها فكيف نلح ان نقضيها كتابة وهي مجردة عن كل واسطة تعينها على ذلك لا ريب في صحة هذه النتيجة وان كبر علينا امرها وأبينا الاعتراف بها . ومن الغريب

اننا قد نسلّم لاول وهلة بصحة النتيجة الاولى التي اثبتناها وهي عدم صلاحية اللغة المكتوبة للتكلم ونأى التسليم بصحة النتيجة الاخيرة اعني عدم صلاحية اللغة المكتوبة للكتابة ونسئ ان النتيجة الاولى لازمة للثانية ونتيجة عنها اعني ان عدم صلاحيتها للتكلم ناشي عن عدم صلاحيتها للكتابة والا اي لو انها كانت صالحة للكتابة لصلحت للتكلم لا محالة

ولهل بعضنا ولا سيما الذين برزوا منا لمقارعة القاضي ولمور لا يطيب لهم سماع مثل هذا الحديث واهون شيء عليهم ان يتهموني بالانحياز عنهم والانضمام الى انصار اللغة المحكية . ولكن ما قولهم بشهادة ارباب الافلام انفسهم واية شهادة اخرى غيرها يقبلون اذا رفضوها ولم يصدقوها . فالى جهابذة الكتبة البالغين في صناعة التحرير بعد غاية وارتفاع مرتبة نرفع هذه المسألة ونستخلفهم واحداً واحداً بالمسغبة والمتربة وشطف العيش الناتج من شق تلك القصة ان يبيّونا بصدق وإخلاص على هذا السؤال : هل كتب احدهم مرة مقالة او نبذة او كتاباً نصيفاً او تأليفاً او تعريباً وهو واثق كل الثقة انه مثل لقارئ كتابته صورة المعنى التي رسمها في ذهنه تماماً كما يمثلها الكاتب الانكليزي او الفرنسي او غيرها من كتاب اللغات الاجنبية : هل اكمل مما كتبه فصلاً بل صفحة بل سطرّاً دون ان اخذ بعنان البراع وثناه عن الجري في ميدان الطرس وهب يستحث ذاكرته ويعصر يافوخه طالباً كلمة او كلمات يتخذها قالباً لسبك المعنى السائل في دماغه على حرارة التصوّر والتخيل ويجعلها صفيحة ينقل عليها الصورة البديعة المرسومة في الذهن بيد الاجادة والاثقان واذ لا يرى في محفوظه من كلمات اللغة المكتوبة ما يشفي الاوام وينفي بالرام ويخاف ان يستعين بلفظة من لغة العوام لم يحكمها ابو زيد ولا رواها ابن هشام يضطرّ رغم انفه الى العدول عن ذلك الرسم البديع الجميل واستبداله بما يوافق اللفظ العربي الفصح وما استخف المعاني الخاضعة لاحكام اللفظ

ومعلوم ان مواضيع الكتابة اكثر من ان يحيط بها عدد او يجمعها احصاء ولكن زهرة ربيعها وعروس مواضيعها واسطة عقد بديعها هو الوصف . فمن من سادتنا الكتاب النخاري فرسان الانشاء والتحرير وابطال البراع المغاوير حاول مرة وصف شيء مما في القبة الزرقاء او على سطح الغبراء او بين الارض والسماء او في عالم السرّ والخفاء . واستطاع ان يمثله لعين القارئ او لأذن السامع تمثيلاً حقيقياً يستوي فيه العين والاثرو يستغني مطالعة عن المشاهدة وسامعة عن النظر

من منهم اذا دخل رقصاً او نادي انس او محفل طرب واراد ان يكتب عنه بقدر ان يصف باللغة المكتوبة كل ما وقع عليه نظره وشاهدته عيناه في ذلك المكان من المجالي

والمظاهر والمشاهد والمناظر. ولم يرى في ذاكرته من الكلمات العربية الفصيحة التي ترسم في ذهن القارئ الصورة الحقيقية لما رآه في ذلك المشهد على الرجال والنساء من الملابس المتعددة الاشكال والمختلفة الانواع وما في القاعة وعلى "البوفه" و. و. الخ. او يظن ان القارئ يرويه السراب ويشبعه كشي الضباب ويكفيه من الوصف ان يقال له "وكان الرجال قائمين بالملابس الرسمية والسيدات بانحر الخلل واثنى الحلى والقاعة مفروشة باغلي الاثاث وانفس الرياش ومزدانة بالمصابيح والانوار والرياحين والازهار والبوفه حافلة بالذ الاطعمة واطيب المشروبات". واذا اقترحنا على ابلغ كاتب عربي في هذه الايام ان يصف لنا "اوضة" مقعد او مخدع نوم او غرفة طعام وصفاً مدققاً يشمل كل ما فيها من الامتعة والادوات المصنوعة من خشب وزجاج ومعدن وحرير وصوف وقطن وغير ذلك او يصف ثياب سيدة من السيدات وحلاها فهل يستطيع اجابة الاقتراح تماماً دون ان يستعين باللغة المحكية؟ ببعض كلامه بل بكلمه

جلست يوماً اطارح احد مشاهير العلماء البحث في هذا الموضوع فاعنذر عن قصور كتابنا بقوله "ان عدم تعوذهم التدقيق في وصف مثل هذه الامور يحول دون مجاراتهم لكتاب الافرنج فيه بخلاف غيره مما تعودوا وصفه كالجمال مثلاً فانهم بارعون جداً في وصف القامة والشعر والعينين والتم والعنق وغير ذلك مما يجيدونه غاية الاجادة ويحلوون في ميدانه على كتاب اللغات الاجنبية". وعندي ان هذا اذا صح فهو بعض السبب لا كلة. وهب انهم مارسوه حتى اصبح ملكة راسخة في اذهانهم فماذا يفيدهم ذلك ما داموا في حاجة الى كلام يعبرون به عن موصوفهم ولا يجردون منه ما يجردونه عند ارادة التعبير عن اوصاف الجمال

ثم ان حاجتنا الى اللغة المكتوبة ليست مقصورة على الوصف ولا هي محصورة في الادب والمدح والهجاء والتهنئة والثناء والفخر والحماسة كما نراها هذه الايام في صحف الاخبار وكتب الادب بل تتعدى الى ما هو اهمّ جداً من جميع هذه المذكورات — الى العلوم والصنائع — الى ما لا يخص من المسميات الطبية والكيمائية والفلسفية والفلكية والهندسية والصناعية والتجارية والزراعية والمخارية والكهربائية وغيرها مما يحتاج الى عشرات الالوف من الكلمات ولا نرى له في لغتنا المكتوبة الآن غير كلمتين فقط وهما "ادوات وآلات"

فالجميع اللغوي الذي نحتاج اليه ينبغي ان يتألف من رجال اكفاء لهذا العمل الخطير يناط كل منهم باحصاء كلمات فرع من العلوم ونوع من الصناعات بنقلها عن اربابها العاملين فيها ثم ينظر اعضاء المجمع كلهم معاً في كل قسم من هذه الكلمات على حدة فما وجدوا له في

اللغة العربية لفظاً يحى بهناه أو بقرب منه ويسهل تعميمه وضعوه له واحلوه محله وما لم يجدوا له شيئاً من ذلك عربوه وادخلوه وبعد ما يفرغون من عمل الوضع والتعريب يطبعونه ويوزعونه ولا يلبث ان يعم استعماله وتشمل فائدته

والأ فاللغة المكتوبة لا توفى التيار المثلث المندفع عليها من اللغة المحكية واللغة الفرنسية والانكليزية فجرد قولنا انها مهبط البلاغة والفصاحة ومجلى الحسن والملاحة وربة الاستعارات والكنائيات وشامة في وجنة اللغات. وان اكتبنا بهذا كما هو ظاهر من غارتنا على حضرة القاضي ولور اصبتها باساءة تحو كل احساننا اليها. واضعناها من حيث اردنا المحافظة عليها
القاهرة
اسعد داغر

منزلة الشعر من التاريخ

(٢)

جرنا البحث الى امرى القيس وهو زعيم الشعراء بلا منازع ومليك البلاغة بلا مضارع ومن شعر عبيد يعرف ان ابا امرى القيس كان ملكاً على اسد وان جدته تدعى ام قطام وانه قصد ملوك غسان مستنصراً على عداه. واذا اردنا اثبات ذلك من شعر امرى القيس وجدنا جميعه مع تفصيل اوضح واتم كما ترى في البيتين التاليين

اقر حشا امرى القيس بن حجر بنو نيم مصابيح الظلام

وانا الذي عرفت معد فضله ونشدت عن حجر ابن ام قطام

قال شارح ديوان امرى القيس اراد بنشدت رفعت ذكر حجر ابن ام قطام وبديهي ان الولد النجيب يرفع من ذكر ابيه. فدل قوله على انه ابن حجر ابن ام قطام

واذا اردنا المقابلة بين قولي عبيد وامرى القيس قلنا

امرى القيس

عبيد

يدعو خصمه مرى القيس وهو مصغر امرى القيس || يدعو نفسه امرأ القيس وهو ينتسب الى كندة

يقول ان قتيل اسد يدعى حجر ابن ام قطام || يدعو اياه حجر ابن ام قطام

يقول ان قتيل قومه من كندة || يقول ان بني اسد قتلوا اياه

فالرجل الذي يتكلم عنه عبيد هو بلا شك امرؤ القيس الشاعر المشهور. ومن ثم نستنتج ان حجراً كان ملكاً على اسد وانهم خلعوا نيره فكبح جماحهم اولاً ثم شدوا عليه فقتلوه وقام

امروء القيس يطلب بشاره منهم . وانه لاذ بالملوك الغسانيين . وهذه حقائق تاريخية لا وجه
للريبة بصحتها

فلنا ان امراً القيس يورد نسبة بايضاح واستيفاءً بنيفان على ما اورده عبيد وذلك انه
ينسب اياه الى جده في قوله راثياً اخوته

ألا يا عين بكّي لي شنبنا وبكّي لي الملوك الذاهبينا

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشيّة يقتلوننا

ثم انه يذكر جد ابيه الحارث بن عمرو في قوله

أبعد الحارث الملك ابن عمرو له ملك العراق الى عمان

مجاورة بني شمعى بن جرم هواناً ما أتيح من الهوان

وقد اورد اسم امه في قوله

ألا هل اتاها والحوادث حجة بأن امراً القيس ابن تملك يقرأ^(١)

ولنا ان نستدل من قوله هذا ان العرب كانوا لا ينفون من الانتساب الى الامهات بل
كانوا يفخرون بالانتساب اليهن كما كانوا يفخرون بالانتماء الى الاء . قال بشر بن حازم في

امتداح اوس بن حارثة بن لام الطائي (وهو من مشاهير سادات طي ومن كرامتها)

تداركني اوس بن سعدى بنعمه وذاك الذي تومي اليه الاصابع

وقال زهير بن ابي سلمى المزني في امتداح هرم بن سنان المري

لعمراييك ما هرم ابن سلمى بلحجي اذا اللؤماء لوموا

ولنعد الى بحثنا الاول فنقول ان امراً القيس تطرّق الى ذكر اعمامه واخواله فقال

خالي ابن كبشة قد عرفت مكانه وابو يزيد ورهطه اعماي

وذكر رحلته الى الغسانيين يحمي القيص بقوله

تذكرت اهلي الصالحين وقد انت على خملا خوص الركاب^(٢) واوجرا

فلما بدا حوران في الآل دونهم نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

وخملا واوجر موضعان يستدل من كلامه انه ربهما في سيره من دياره الى حوران .

ثم ينتقل الى صف ناقته قائلاً

فدع ذا وسلّ الهمّ عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجراً^(٣)

(١) يقر ذات معان احدها هلك (٢) الغائرات العيون واحدها اخرص او خوصاء

(٣) الجسرة الناقة الطويلة والذمول السريعة

وبعد ان بصفها باييات يقول

عليها فتى لم تحمل الارض مثله
هو المنزل الالاف من جونا عطي
ابن اسد حزناً من الارض اوعرا^(٤)
ولو شاء كان الغزو من ارض حمير
ولكنه عمداً الى الروم انفرا
لقد انكرتني بعلبك واهلها
ولا بن جريج كان في حمص انكرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه
وايقن اننا لاحقار بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما
نحاول ملكاً او نموت فنعدرا

وهذا الكلام يطابق ما ادعاه عبيد من سقوط دولة امرى القيس واستنصاره
بالفسانيين . واخلاف بينهما حادث من توهم عبيد ان لحاق خصمه بهم آخر مطلبه اما امرؤ
القيس فأبان ان مطلبه ابعد وشقته اقصى حيث قال : ولكنه عمداً الى الروم انفرا
ولنا من هذه الاييات ادلة تاريخية نذكر منها

(اولاً) ان العرب عرفوا مدينة بعلبك بهذا الاسم حينما كانت سورية منضوية الى المملكة
الرومانية التي كانت تعرفها رسمياً باسم هيلوبوليس اي مدينة الشمس . وقد ذكر الدكتور لورته
في كتابه سورية اليوم في الصفحين ٦١٢ و ٦١٣ ان اسم بعلبك مشتق من بعل بمعنى الاول
او الاقوى بين آلهة الفينيقيين وهو يضارع اسم زفس عند اليونانيين وجوبتير عند الرومانيين
ويبولس الكلدانيين وملكارث او هراقليس السوريين وقد دعي بعض المرات باسم ساترن
او كسرونوس او هليوس اعني الشمس . وفي بابل تكرر له اقدم واشهر معبد فيها وعبد
تخذاً له صورة الشمس اما في لبنان وانتيلبنان (لبنان الشرقي) فقد كانت عبادته بنوع خاص .
وبعلبك مفادها هيكل بعل لان بك او باكي مفادها البيت او الهيكل

وما اورناه يستنتج ان هيلوبوليس ترجمة بعلبك الحرفية فيبين الاسمين رابطة معنوية
في وحدة المفاد ولكن هذه الرابطة ليست كلية حتى تصدق على كل مدينة ذات اسماء متعددة
(ثانياً) من قول امرى القيس "ولا بن جريج كان في حمص انكرا" نستدل على ان
هذه المدينة كانت داخلية في سلطة العرب في عهد تملك الدولة الرومانية سورية بدليل اقامة
رئيس عظيم عليها من العرب وهو ابن جريج . وقولنا برئاسة ابن جريج استدلال من ان من
كان ملكاً لا يكون ضيفاً الاً لملك او امير او رئيس ولا ينزل ضيفاً على واحد من غمار الناس
ولا سيما اذا كان ذلك الملك مستنصر ملوك كما قال خصمه

(٤) المحزن الوعر من الارض

وجموع غسان الملو (م) ك اتيتهم وقد انطوينا

ولو كان المستضاف من زعانف الناس فهل يليق بملك ان ينوء باسمه ويستنكر من نقصه.
ونستدل أيضاً على ان ابن جريج من سلالة عربية من اسمه او ننويه امرى القيس بقصوره في
مزية الخفاوة بضيفه التي هي اخص مزايا العرب . ومن ان امرء القيس نزيل جموع ملوك
لا نزيل ملك واحد

واذا كان ابن جريج عربياً كما اثبتنا فهو اما ان يكون غسانياً او غير غساني . فان كان
غير غساني فعجب من ان المؤرخين لم يذكروا عن قبيلته شيئاً مع انها تملك او اقامت
في مدينة من اهم مدن القطر الشامي ومهما تطرقنا بالتخامل على اولئك الافاضل فلا يمكننا
ان نغزو اليهم اهمال حقيقة تاريخية كالتى نحن في صدها

واذا كان ابن جريج غسانياً فكيف جاز ان يحكم الغسانيون مثل حمص وهي مدينة قديمة
عظيمة على مقربة منها نهر كبير "نهر العاصي" وارضها غاية في الخصب وهي حصينة جداً فلا
يعبأون بها ويتخذون قصبة ملكهم قرية صغيرة^(٥) اشكل على مجلة المشرق تعيين موقعها فتارة
تزع منها في غوطة دمشق وطوراً في حوران واخيراً تحتم انها في جزيرة العرب وهذا التدقيق
العجيب الذي يستنتج منه ان غوطة دمشق وحوران وبلاد العرب مكان واحد من الغرائب
التي لم يسمع بها بعد

لكن يا ترى من يسل (عدا مجلة المشرق) بان ملوكاً من اصحاب المدارك الراقية يتخذون
مقرهم في قرية حقيرة يكون فيها مقامهم كمكان شيوخ القرى (كذا نقول المشرق) ولسون
المدينة الكبيرة الحصينة الى احد اتباعهم فيتمكن هذا التابع من الخروج عليهم بل من الايقاع
بهم متى شاء . أو ليس العقل السليم يحكم انهم ولو تلك المدينة الكبيرة لتابعهم لانهم اتخذوا
لهم مباءتهم مدينة أو مدناً اعظم منها وعلى هذا يفضي بنا البحث الى التسليم بان ملوك غسان
استقروا في جلق اعني دمشق وذلك لان دولة بني غسان تمتد (على قول المشرق) "من غوطة
دمشق الى تدمر" وليس في هذا الاقليم مدينة افضل من حمص في السعة والخصب والمنعة
الاً دمشق فدمشق عاصمة مملكة الغسانيين . هذا ما ينتج مع مجاراتنا المشرق في تحديد مملكة
بني غسان مع انه تحديد فاسد وواضح دليل على فساد اجماع المؤرخين على ان جيلة وهي
مدينة على شاطئ البحر بين مدينتي اللاذقية وطرابلس من بناء الغسانيين فاذا قد انصلت
مملكتهم بالبحر وهو ما ينكره المشرق بقوله ان مملكتهم تمتد من غوطة دمشق الى تدمر

(ثالثاً) لنا من قول امرئ القيس

”عليها فتى لم تحمل الارض مثله“ ابر بميثاق واوسني واصبرا

دليل على ان العرب كانوا بفاخرون بحفظ المواثيق والوفاء بالعهود ويعتبرون الصبر على المشاق من اشرف الفضائل . ومن البديهي ان الميثاق الذي بهرمة ملك او امير يقتضي ان يكون حتماً مع امير او رئيس مطاع وهذا مما يستدل به على ان العرب كانوا على جانب عظيم من المدنية التي يفخر بها ابناؤ هذا العصر المنير

ولقائل يقول اني يكون للقبائل العربية سهم في المدنية وهم في شغل شاغل من ترادف الغزوات وثناي الغارات واصلاء نيران الهياج على حين نجد المدنية تحول دون ذلك اجيب ان المدنية كانت وما برحت تعتبر الحرب من مستلزمات الحياة فالامة المصرية كانت في ابان زهورها العلمية مستغرقة جميع قواها في الحروب وقس عليها سواها كالاشورية والفارسية . اما السريطيون فكانوا يقضون سخابة الحياة كلها متجندين للقتال . وقد مرّ على اثينا عصر الفلسفة اعني عصر سقراط وفيثاغورس وافلاطون وهي مشتبكة بالقتال المستمر . وقد رأت رومية عصر شيشرون وفرجيل اهبج عصورها العلمية وهو مملوء بحروب بيمبوس ويوليوس قيصر واقتافيوس واغسطس كما يعرف كل ذلك بادنى لحظة في تواريخ تلك الامم الشهيرة . فالحرب لم تكن في عرف المدنية قديماً امراً محرماً او مستقبهاً وهي كذلك في عهدنا هذا . واذا رأينا المؤتمرات الدولية تلتمس لسن الشرائع فيما بينها لرفع القتال فذلك لان فن الحرب اضحى متفقاً بمعداته الهائلة ولا سيما بعد وضع التجند قانوناً مرعي الاجراء ولهذا امسى نشوب القتال عائداً على المخاربين كليهما بالخسائر فضلاً عن ان الحرب تعد الغالب طعنة لمرصد فرصة ضعفه فينقض عليه بكل قواه

(رابعاً) يستخلص من قول امرئ القيس ”هو المنزل الا الآن في جونا عط ...“ ان قبائل العرب المتبدية كانت اذا خشيت من بأس العدو لجأت الى حزن وعمر او لاذت بقمة جبل واقامت هناك حاذرة من مفاجأة الخصم ولذلك لا بناها مكرهه وقد اعرب عن ذلك بوضوح النابغة الذبياني في قوله

وحلت بيوتي في يفاع ممنع	يخال به راعي الحمولة طائراً
تزل الوعول العصم ^(٦) عن قذفاته	وتضحي ذراه بالسحاب كوافرا
حذاراً علي ان لا تنال مقادتي	ولا نسوتي حتى يمتن حرأرا

(٦) العصم واحدها عصم الذي في يديه يياض

وكانت نخضن خشية من الضواري ايضاً بدليل قول امرئ القيس
 لعمرى لقوم قد نرى في دبارهم مرابط للامهار والعكر الدثر^(٧)
 احب الينا من اناس بقنة يروح على آثار شائهم النمر^(٨)
 فينجم عن ذلك ان العرب حتى البدو منهم كانوا يأفون التحصن في منازل الاعداء
 وكانوا يتذرعون به في دفع الطواريء والضواري

واذا كان هذا شأن العرب البدو والحضرىون منهم ذوو معاقل وحصون وآطام وبنو غسان
 من هؤلاء فكيف يجوز ان نقول ان ملوكهم اهملوا المواقع الحصينة وسلموها الى حاشيتهم ونزلوا
 هم مكاناً غير حصين اعني قرية حقيرة في منقطع من الديار النائية
 (خامساً) يستدل من قوله . "ولو شاء كان الغزو من ارض حمير " ان الدولة

الحميرية كانت في عصره ذات صولة لكنه استنكف من الاستنجاد بها
 وقد سبق لنا القول بان بني اسيد قتلوا حجراً والد امرئ القيس فاذا رغبنا في الوقوف
 على ما كان من امر هذا الشاعر البليغ عند ما بلغه نعي والده استطعنا معرفة ذلك من قوله
 أرقْتُ لبرقِ بلبلِ اهل يضيء سناه باعلى الجبل
 اتاني حديث فكذبته بامرٍ تززع منه القل
 بقتل بني اسيد ربههم الا كل شيء سواه جل^(٩)
 فاين ربيعة عن ربهها واين تميم واين الخول
 الا يحضرون لدى بابي كما يحضرون اذا ما بذل

وقال ايضاً

نطاول الليل علينا دمون^(١٠) دمون انا معشر يمانون واننا لاهلنا محبوبون
 ونستنتج من ذلك (اولاً) ان امرأ القيس لما بلغه نعي والده كان في جبل دمون. (ثانياً)
 ان بني كندة قبيلة يمانية (ثالثاً) صحة ادعاء عبيد ان قومه فتكوا بابي امرئ القيس كما صرح
 امرؤ القيس بذلك مراراً كقوله

يا لهف هند اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الخلاحلا^(١١)
 ويتعين لنا من هذا البيت ان قاتل حجر من كاهل وهي عشيرة من بني اسيد كما سبق لنا

(٧) العكر فوق خمسة من الابل والدثر الكثير

(٨) الشاء جمع شاة وهي شر المال عندهم كذا يقول شارح ديوان امرئ القيس (٩) جلل هنا بمعنى حفر

(١٠) دمون اسم جبل (١١) السيد الشجاع

القول بذلك. واذا ناسبنا بين آياته اللامية التي رويناها اي "ارقت لبرق... " وقوله
 فلا وايك ابنة العامري (م) لا يدعي القوم اني افز
 تميم بن مرز واشياعها وكندة حولي جميعاً صبر^(١٢)
 اذا ركبوا الخيل واستلأوا تجرقت الارض واليوم قرز^(١٣)
 نستنتج ما يأتي (اولاً) ان امرأ القيس كان يجهل عند ما بلغه النعي ان بني تميم مشايعون
 لبني اسد في نبد طاعة ابيه وفي قتله ثم عرف ذلك بعدئذ (ثانياً) ان كندة باسرها تضامت
 حول امرئ القيس لاختار ابيه واذا نظرنا الى قوله

نبصر خليلي هل ترى من طعائن
 علون بانطاكية فوق عقمة^(١٤) كجومة نخل او كجنة يثرب^(١٥) شبيب

كان لنا ان نستخرج من البيت الثاني اموراً منها (اولاً) ان انطاكية كانت في ايام الشاعر
 مشهورة بالنسيج (ثانياً) ان العرب كان لهم علائق تجارية مع مدن القطر الشامي وكانوا
 يعرفون واردات تلك المدن (ثالثاً) ان يثرب كانت في عصر امرئ القيس مشهورة بمنتجاتها
 حتى انه ضرب المثل بها

وفي هذا القدر كفاية من الإلمام بشعر امرئ القيس خاصة وسنستشهد بشيء من
 شعره في خلال الابحاث العامة. علي اننا لو اردنا ان نجمع كل ما يمكن استنتاجه من شعر
 امير الشعراء مما يستدل به على حالة من احوال معاش العرب او على ملحة من اقوالهم او
 ملحمة من وقائعهم لكان لنا من ذلك رسالة خاصة لا تقل صفحاتها عن عدد صفحات هذه
 الرسالة. ولا يغرب عن القارئ الكريم اني كنت اجتزئ ببعض الاستنتاجات من شعره
 دون الجميع حذراً من الإطالة المحلّة
 امين ظاهر خير الله

(١٢) تميم بدل من القوم والواو في وكنن للجمال لا العطف وصار جمع صابر

(١٣) استلأوا لبسوا اللامة أي الدرع والقر البارد

(١٤) العقمة المرط الاحمر او كل ثوب

(١٥) والبعض يضبطونها بالناء بدل الناء

الصحيح من الفراسة

امارات السرور

لا نجد انساناً ولا حيواناً الا وفيه عاطفة السرور يعرب عنها علي اساليب شتى ظاهرة
الدلالة لا تخفى على احد اظهرها الضحك وهو الاسلوب الوحيد الذي افاض في وصفه القدماء
من اصحاب الفراسة كأن ليس للسرور علامة سواه . ذكر بعضهم ان ديموقريطوس كان
يعرب في الضحك حتى اتسع شدة وبلغ اذنيه وبقيت آثار الضحك في وجهه . وقالوا ان زدرشت
صاحب ديانة الفرس ولد ضاحكاً وان من يعرب في الضحك حتى يتملكه السعال فهو ظالم
غشوم ومن كانت له شفتان دقيقتان ووجه بشوش يضحك ابتساماً فهو محب للذات . ومن
كثر ضحكه قلت الثقة به ومن كان ضحكه قليلاً فهو كريم الطباع وافر الحكمة . الى غير
ذلك من الاقوال السخيفة التي ان اصاب مرة اخطأت مرة

واول من بحث عن الضحك بحثاً علمياً فسيولوجياً هو الشهير هربرت سبنسر وقد لخصنا الكلام
التالي عما كتبه في هذا الموضوع قال :

اذا سألت الناس لماذا يضحكون حينما يرون ولداً يمشي لابساً ثياب ابيه اجابوك لاننا
نرى تضاداً بين الولد الصغير واللباس الكبير . وهذا الجواب لا يبين سبب الضحك لان
الانسان يضحك ايضاً اذا فرح وسر من غير ان يرى شيئاً من التضاد ولا يبين ايضاً سبب
ما يحدث من الحركات في وجه الانسان حينما يضحك . وقس على ذلك سائر الامور التي يظنها
الناس سبباً للضحك فانها ليست السبب الفسيولوجي . والسبب الفسيولوجي هو ما اراد يباينه
من الافعال ما ليس خاضعاً للارادة كالسعال والعطاس لكنه يحدث من سبب معين كما
اذا علق شيء بالخلق او دخل السعوط الانف . ومنها ما هو خاضع للارادة لكن السبب المهيغ
بقوته كرجفان اليد فانه يشتد بالبرد حتى يخرج عن فعل الارادة . ومعلوم ان المؤثر يؤثر في
طرف عصب من اعصاب الحس فينتقل العصب التأثير الى مركز الجهاز العصبي ثم يرد على عصب
من اعصاب الحركة ويحرك العضو الذي اتصل به المؤثر اي ينتقل التأثير من الاعصاب الى
العضلات . ثم ان الفعل العصبي يؤثر في الاوعية الدموية فاذا سمع انسان خبراً مفرحاً او محزوناً
زادت ضربات قلبه . واذا سمع المريض حديثاً ساراً فقد يحسن هضمه للطعام . واذا لم يكن التهج
العصبي شديداً انتقل من عصب الى آخر بسهولة كما يحدث في انتقال الافكار من موضوع
الى موضوع آخر

ويرى مما تقدم ان التهيج العصبي يسير في ثلاث مسالك اما من عصب الى آخر او من الاعصاب الى العضلات او من الاعصاب الى الاوعية الدموية والغالب انه يسير في اثنتين منها معاً وقد يسير في واحد او في الثلاثة في وقت واحد ولكن ليس على السواء . فاذا اشتد الخوف على انسان حتى حمله على الركض بقي شيء من التهيج العصبي في اعصابه وتولدت منه الهواجس . واذا مدحت انساناً مدحاً ترتاح اليه نفسه صرف بعض التهيج العصبي في توليد السرور فيه والبعض الآخر في توارد الدم الى معدته فتقوى على هضم الطعام يظهر من ذلك ان التهيج العصبي لا بد وان يسير في طريق ما فاذا كان بعض المسالك مقفلاً في وجهه سار في البعض الآخر واذا كثرت ما سار منه في احد المسالك قل ما سار في غيره . وهذا مما نشاهده كل يوم فاشد الحزن ما لا يصحبه شيء من الحركات لان التهيج العصبي ينحصر في الاعصاب فيزيد شعورها واما اذا وجد له منفرجاً بالطم والبكاء قل تأثيره الداخلي . والرجل الذي يخفي غيظه يكون محبباً للانتقام واما الذي يظهره بالخصام فلا يكظم الغيظ انتقاماً

ولهذا فالحركات العضلية تتخفف فعل التأثيرات العصبية . فالغضب يخف كثيراً اذا مشى الانسان مسرعاً . ومن بلي بخسارة فادحة هانت عليه اذا عاد الى العمل بنشاط . والضد بالضد اي ان التأثيرات العصبية تقلل الحركات العضلية فاذا كان الانسان يمشي وخطر له خاطر شغل باله وقف بغتة يفكر فيه واذا كان جالساً يحرك رجله ثم خطر له خاطر مؤثر اوقفه ما عن الحركة . والافكار تؤثر في الاوعية الدموية وتضعف حركة الدم فيها فاذا اشتد الفرح او الهم على انسان افقده شهية الطعام واذا كان قد اكل اوقفاً فعل الهضم . ومثل ذلك الاشغال العقلية وخلاصة ما تقدم ان التهيج العصبي الذي نشعر به بمشاعرنا الباطنة لا بد وان يتحد احدى الطرق الثلاث التي ذكرناها قبلاً او اثنتين منها او كلها معاً في وقت واحد وانه اذا سداً احدها زاد ما يجري في الاثنتين الاخرين واذا زادت الكمية الواردة منه الى احدى هذه الطرق قل ورودها الى غيرها . فانظر كيف يمكن تحليل الضحك على هذا الاسلوب من البديهي ان الضحك حركة عضلية تنبع عن زيادة الشعور حتى يضطر الى تبديد ما يزيد بحركة عضلية . ومن المؤكد ايضاً ان الضحك ليس دائماً دليل الفرح بل قد ينجم عن التعب العقلي والدغدغة وبعض انواع الالم . واذا ثبت ذلك نرى امامنا حقيقة اخرى وهي انه ليس للضحك غرض او غاية ففي اغلب الاحيان تكون الحركات موافقة للتأثيرات التي ولدتها مثال ذلك ان الخوف يولد فينا قوة الركض للنجاة اما الضحك فلا نفع منه على الاطلاق والغالب

ان ما تشعر به النفس ينتقل من الفكر الى الحركة بواسطة اعضاء النطق كما يظهر الغضب او الرضى بحركات الفكين واللسان والشفيتين ولذلك كانت بعض العضلات المحيطة بالفم اول ما يتأثر بالاحساسات المطربة وتبناها الجهاز التنفسي . وكلنا يعرف كيف يزيد التنفس وخفقان القلب بسبب الاخبار المؤثرة مفرحة كانت او محزنة . ثم اذا زاد التهيج العصبي عما تُحمله اعضاء الكلام والجهاز التنفسي سار الى الاطراف العليا فيصق الاولاد بايديهم ويفرك الرجل يديه وقد يهز جسمه من الامام الى الورا . واذا زاد التهيج العصبي بعد هذا استلقى على ظهره وفحص برجليه . نعم ان ما تقدم قد لا يكفي لتعليل جميع حركات الضحك لكنه كافٍ لتعليلها اجمالاً وهو يعلل الضحك الناتج عن السرور او الالم ولكنه لا ينطبق على ضحك المرء عند مشاهدته التضاد بين الاشياء . وقد قالوا في هذا ان الانسان يضحك لانفراج نفسه بفتنة من الهم العقلي ولكن لماذا نضحك اذا سمعنا انساناً يعطس بين فترات الموسيقى المطربة حيث لا همّ يتعب العقل . وللوصول الى التعليل الحقيقي لهذا الحادث علينا ان نحسب اولاً كمية الشعور في احول كده ثم نرى وجهة انصرافها . مثال ذلك لو فرضنا اننا نشاهد تمثيل رواية في مشهد وقد تتبعناها باهتمام حتى وصلنا الى ما نتوق النفوس اليه كاجتماع العاشق ومعهشوقه بعد طول الفراق وزوال اسباب الجفاء فاللذة التي تشعر بها النفس حينئذ لا تريد تركها لانها نتيجة الفرج بعد مشاهدة عذاب الحبيبين . ثم لو فرضنا اننا ونحن ننظر اليهما وقلوبنا تطفح سروراً دخل المشهد جديٌ اليق ونفخ في وجهيهما فان الحضور يضحون بالضحك وهذا الضحك لا يفسره قولنا انه نتج عن انفراج هموم النفس لان النفس تكون مسرورة بما تشاهده . والواقع هو ان قسمًا كبيراً من الجهاز العصبي كان تحت تأثير شديد وكانت نفوس الحاضرين تنتظر ما سيكون من نهاية الرواية فلو لم يعترضها شيء لاسار التأثير العصبي سيره في توليد افكار جديدة لكن دخول الجدي اوقفه بغتة فسد بجراؤه ولم يفتح له مجرى كافياً لمسيره كله لانه امر طفيف فسارت تلك الزيادة الى العضلات التي حول الفم ونتج منها ما ندعوه ضحكاً . ويؤيد هذا التعليل ما نراه احياناً من ان بعض الذين يشاهدون الحوادث الضحكة لا يضحكون لها بل يستأثرون منها كما لو وقع رجل شمين وهو ماشٍ لثقل جسمه فان كثيرين من الذين يرونه يهزأون به ويضحكون ولكن بعضهم لا يضحك لشعوره بمصاب الرجل وهذا الشعور استغرق كل ما فيه من التأثير العصبي فلم يبق منه شيء يسير الى عضلات الفم التي تضحك قال واحد انه ذهب ليلة الى مشهد الخليل فكان اللاعبون يقفزون من فوقها ثم اتى المهرج ليقفز مثلهم فجمع قوته وركض مسرعاً حتى وصل الى محل القفز ثم وقف وجعل يسبح

الغبار عن جسم الفرس زاعماً انه بذلك يجعله اوطأ مما هو . فاعرب الحاضرون في الضحك كلهم الا الرجل المشار اليه فان التهييج العصبي لم يسرفيه الى عضلات الضحك بل ولد فيه شعوراً جديداً وهو الغضب لاستهزاء اللاعبين بالحضور

ومن قابل بين الاسباب التي تولد الضحك والتي لا تولده يجد ان الشعور الذي ينتج عن الثانية يختلف بنوعه عن الشعور الذي ينتج عن الاولى ولكن كميته وقوته واحدة . ومن الاسباب التي لا تولد الضحك رؤية شخص مفلوج ينوء تحت حمل ثقیل وفساوة والدين على اولادهم وعقوق البنين لآبائهم وما اشبه . فكل هذه تجعل فينا الغضب والا لم لا السرور والانشراح لان الشعور الاول ليس باقل تأثيراً من الثاني

ومن اسباب الضحك ايضاً ان ينتقل الوجدان بدون انتباه من الامور الكبيرة الى الامور الصغيرة اي ان يكون التضاد على سلم نازل فاذا كان على سلم صاعد كان تأثيره ضد ذلك وينتج عنه العجب والاندھال كما لو حدث حادث كبير عقب حادث صغير فعوضاً عن نقص العضلات تراها تتمدد فيتترك الانسان ما يكون يده ويفتح فاه

وما تقدم يساعد على تفسير كثير من الحركات غير الضحك . فكلنا يعلم ان التأثيرات اذا اشبتت تبطل عمل الذكوة وتعوق قوة النطق مثال ذلك ما يعانیه بعض الناس من الاضطراب عند التكلم امام الجمهور وما يبدو على التلامذة من الوجع وقت الامتحان مع انهم يكونون قد استظفروا دروسهم جيداً . فان الخطيب اذا التقي خطبته منفرداً سار التهييج العصبي الخفيف في تجرى ضيق لكنه كاف ولم يكن عليه سوى تذكر ما يكون قد اعدّه من الانكار وذلك لا يستلزم قوة عقلية زائدة . ثم اذا داخله الاضطراب امام الجمهور اقتضى هذا الشعور الجديد منفذاً ولما كانت الاعمال العقلية التي يعملها في ذلك الوقت محدودة لا تستغرق كل هذا الشعور سار في مجاري اخرى وولد افكاراً تختلف عما يكون الخطيب في صدره فينسى ما يكون قد اعدّه للخطابة

ومن هذا القليل ما يعثاده بعض الخطباء من الاتيان ببعض الحركات فمن الخضاء الباربات من ينزع نظارته ويلبسها مراراً وهو يتكلم وكثير من التلامذة لا يستطيعون الكلام امام الاساتذة ما لم يسكوا قليلاً او ورقة وبعضهم يلعب بزر ثوبه فاذا قطعت الزر او نزع القلم من يده وقفت سلسلة افكاره لان التهييج العصبي يعود فيزيد عما يلزم للافكار . ولا سبيل لاعادة الافكار كما كانت الا بصرف التهييج العصبي الى العضلات فيخف الضغط على الافكار . انتهى

والضحك غير خاص بالانسان فقد ابان دارون ان الشمبانزي يضحك اذا دُغِغ فنبق
عيناهُ ويسم فهُ ويتجمدُ جفناهُ قليلاً و يصوت صوتاً يشبه صوت الانسان اذا ضحك . وتغل
الدغدغة مثل ذلك بالارنغ اوتانغ وغيره من انواع القروذ العليا والسفلى . والظاهر ان العرب
انتبهوا لضحك القروذ كما ترى في قول بعضهم
واذا اشار محدثاً فكأنهُ قرد يقهقه او عجوز تلطمُ

وامارات الضحك ظاهرة في الوجه لا تخفى على احد حتى الطفل الصغير يراها ويميزها ويقلدها
ويتبدى في التبسّم وينتهي في الاغراب اي المبالغة في الضحك وحينئذ تفيض الدموع فنبق
بها العيون او تزيد فتتطل كما تهطل وقت البكاء وفي ذلك يقول الصفي الحلبي
طغى السرور عليّ حتى انه من فرط ما قد سرفني ابكاني

وتشارك اعضاء الفم والوجه كلها في اظهار السرور فيقهقه الضاحك قهقهة يردها كثيراً
وحيثما تعجز هذه الاعضاء عن اظهار القوة العصبية كلها تساعد عضلات التنفس والحجاب
الحاجز وقد تعجز هذه عن ابداء كل القوة العصبية التي تهيج حينئذ فتدعو الى حركة اليدين
والرجلين فيصفق الضاحك يديه ويفحص برجليه ويشعر كأن خاصرته تكاد ان تنشقان
فيمسكهما يديه ويحمر وجهه وعنقه ويتنفخ وداجاه ويستند الى شيء مخافة الوقوع
وقد تشد هذه الحركات حتى تغلب على الارادة ويصير الضحك نوعاً مزعجاً جداً ولا سيما
في النساء والاولاد. والنساء اكثر ضحكاً من الرجال والصغار اكثر ضحكاً من البالغين لان
النساء والصغار اكثر انفعالاً من الرجال والبالغين وقل ضبطاً لحاساتهم . وضحك الانسان في
الصحة والقوة اكثر مما يضحك في المرض والضعف . ويكثر الضحك ايضاً في حالة البله وفي
بعض الامراض العصبية

وعلاقة الضحك بمحالة الانسان الادبية اشد من علاقته بمحالاته العقلية فالمشكك المحب
بنفسه الذي لا يعرف كيف يتصرف يضحك قليلاً لكي لا يفرط في عزّة نفسه . وكذلك الحسود
والشرير يضحكان نادراً لانهما لا يريان ما يسرها
والضحوك الذي يضحك لاقل سبب ويضحك كثيراً كريم الاخلاق خالٍ من الغيب
بنفسه . وقد يدرّب الانسان نفسه تدريباً على الامتناع عن الضحك اما لكي لا يقال انه خفيف
الروح او لكي لا يظهر تجعّد وجهه وخلل اسنانه . وهذا في النساء اكثر منه في الرجال . وقد
يدرّب نفسه على الضحك لتظهر اسنانه اذا كانت جميلة
ويضحك الانسان احياناً ضحك التهمك ويسمى الضحك الصفراوي لكن التمييز بين هذا

الضحك وضحك السرور واضح جداً لا يخفى على احد

والفرح والحزن شعوران تبدو علامتهما على نسق واحد في كل شيء . الفرح يدعو الى الهجة والبسط والاطهار . والحزن يدعو الى الكدر والضيق والاختفاء . افرح فتفتح كوى بيتك وتطلب النور والهواء والحركة . احزن فتقف كوى بيتك وتطلب الظلمة والسكون والانزواء . انظر الى جماعة اجتمعت في السوق ووقفت ساكنة ساكنة كأن على رؤوسها الطير لا حركة لها ولا اشارة فتعلم حالاً انها رأت شيئاً محزوناً ولداً داسه الترامواي او رجلاً وقع مبتاً . وانظر الى جماعة اخرى وقفت ترقص وتطرب وتزغق فتعلم انها في فرح في عرس او عيد او ما اشبه

ويظهر الابتسام في الطفل أولاً وعمره اربعون يوماً او خمسون ثم يضحك وعمره ثلاثة اشهر ثم تزيد علامات الفرح فيه ظهوراً بين الخامسة والعاشرة فيصير يشب على قدميه ويصفق يديه كأنه يكاد يطير فرحاً . وهذا الرقص وهذا التصفيق اول مبادئ الموسيقى فهي بنت السرور وهو ابنتها والتدرج بسيط من التصفيق باليدين الى النقر على الدف والطبل والصنوج الى سائر آلات الطرب . وقد يظهر السرور الحيواني على اساليب اخرى يشترك فيها الانسان والحيوان الاعجم مما لا محل لبسطه

وجملة القول ان السرور الدائم الناتج عن جودة الصحة وراحة البال وقلة الهموم يظهر في بشاشة الوجه وطلافته وبريق العينين فيقال ان وجه فلان يضحك وان النظر فيه يشرح الصدر والسرور الذي يأتي بغتة والنفس غير مستعدة له لا تكفي البشاشة العادية لاطهاره فيظهر بالتبسم والضحك والقهقهة والتصفيق والرقص والغناء والطرب

والسرور الناتج عن النجاح وشبع المطامع يظهر بالعجب والخيلاء فينفخ الانسان صدره كما ينفخ القط شعره ليظهر اكبر مما هو ويخاف الكلب منه . ويرفع رأسه ويتكلم كلاماً فخياً مفرأ لكي يراه ويسمعه كل احد

والسرور الناتج عن اللذة وخفة الروح كثير في محبي بطونهم فترى افواههم مفتوحة غالباً كأنهم ينتظرون لقمة طيبة او قبلة سارة

وبعض هذه الامارات يبدو ويحول حالاً وبعضها يبقى اثره في الوجه . فالبشاشة والعجب آثارها ثابتة في الوجه والسرور البغي والسرور الناتج عن اللذة تبدو اماراتهما وتزول بزوالهما . وقد يبقى بعضها اذا تكرّر مراراً كثيرة فترى محبي الملاذ جاحظي العينين مفتوح الفم او منكسري الطرف كمن يشم زهرة طيبة ويسر برائحتهما

سكة العراق



أصبح ان مملكتي الاشوريين والبابليين ستنتفضان غبار النسيان وتعود سهول دجلة والفرات الى مجدها السالف بمد ان اخني عليها الدهر مئات من الاعوام. ولكن لمن تعود تلك البلاد ومن يجني خيراتها أأبنائها ام الغرباء ولماذا يتناظر الروس والالمان أحساناً الى الغير يقصدون ام جرّ المنافع الى نفوسهم . وعلى م ينهض اهالي المشارق والمغرب ويجنون خيرات ارضهم باياديهم وانباء السلطنة العثمانية والبلاد الايرانية يدعون الغرب ويمهدون له السبيل ليقبض على موارد تجارتهم ومصادر زراعتهم وهل يغتر احد بالشروط والمواعيد والقوي يبلغ الضعيف والسملك الكبير بأكل الصغير

يقصد الالمان مد سكتهم الحديدية حسب امتيازهم الجديد من قونية في بر الاناطول الى اطنه فحلب فأرقة فالموصل فبغداد ومن ثم الى بحر فارس قرب الكويت كما ترى في الرسم السابق حيث اشترنا الى السكة الالمانية التي يراد انشاؤها بخط منقط فيتصل بحر فارس بالقسطنطينية وفيينا وكولون الى آخر اوربا امام مدينة لندن كما ترى في الرسم الصغير الذي في اسفل الرسم الكبير

واذا تبصر انشاء هذه السكة لالمانيا عمّرت البلاد التي تمر فيها واصبحت انهارها فعاد الري

الى ما كان عليه بين النهرين في عصر داريوس وقورش والملوك العظام الذين كان لهم في الحضارة القدح المعلى. ولم تكتفِ بما يكتفي به ولاية تلك البلاد الآن. ولكن هل تصلح حال السكان وتكون الفائدة الكبرى لهم لا لغيرهم وهل اذا هبوا من سباتهم بعد ذلك وقام منهم اناس كبار النفوس كبار الهمة وارادوا ان يسعدوا بلادهم ويوسعوا موارد ثروتها يجدون فيها مرتعاً لم يرتع فيه الاجنبي قبلهم ومهيأً لهما كما يباح لغيرهم. هذا سؤال يعسر حله ولا يجدي التكهن فيه فالاولى الاغضاه عنه والاكتفاء بقول من قال

اذا هبت رياحك فاعتنمها فان الثائرات لها سكون

وان تقب عشارك فاحنلها فما تدري الفصيل لمن يكون

اما السكة التي يريد الروس انشاءها فتمتد من قرب تقليس بين البحر الاسود وبحر قزوين وتغزق بلاد فارس مارة بتهريز وقزوين وطهران وكوم واصفهان وقرمان الى بندر عباس على خليج فارس. وقد اشرنا اليها بخططين متوازيين في الرسم فننتصل بالسكة الممتدة من برلين الى موسكو كما ترى في الشكل الصغير في اسفل الشكل الكبير. وعسى ان لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى هاتين السككتين تحتفرقان بلاد الدولة العلية وبلاد ايران ويتفرع منهما فروع كثيرة

باب المراسلة والمنظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم ونشجلاً للادمان. ولكن الهمة في ما يدرج فيه على اصحابه فغن برامته كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فهناظرلك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى المحقق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالملات الوافية مع الاميجاز تستغني عن المطولة

توأمين عجيبان

وعملية جراحية اعجب

جاءت باريس منذ ايام قلائل شركة اميركية واستأجرت مرشحاً من اكبر المراسم تعرض فيه شيئاً كثيراً من الحيوانات الكاسرة والمخلوقات العجيبة فزرت هذا المعرض ذات ليلة ورايت فيه من غرائب خلق الانسان والضواري من الحيوان ما يستوقف النظر وتحار فيه

الفكر . ومن جملة ما رأيت من نوادر المخلوقات فتاتان توأمتان هنديةتان ملتصقتان فاطلت وقوفي عندهما لا تمكن من رؤيتهما جيداً . وسألت المستخدم الملازم لهما ان يريني محل الالتصاق لان لباس الفتاتين كان يحول دون ذلك فاجاب سوءاً الي فكك بعض ازرار اللباس وحل بعض العرى ولما انكشف اديم الجسمين حيث يلتصقان وجدت الالتصاق بين السرة والاضلاع السفلى التي تدعى الاضلاع الكاذبة في علم التشريح . واذ كان بيني وبين التوأمين حاجز يحول دون اقترابي منهما لم اتمكن من جس مكان الالتصاق لاعلم ما هي حالته وما اذا كانت الصلة مقصورة على الجلد او كان هنالك عضو من الاحشاء مشتركاً بين الجسمين . وقد سألت ما عمر هاتين التوأمين فقبل لي احدى عشرة سنة فلما تأملتتهما وجدت ان جسميهما اقل نمواً مما يجب ان يكونا في هذا السن اذا كانا منفصلين ثم وجدت ان احدى الفتاتين اشده نحولاً من اختها وان لونها اصفر شاحب فسألت عن سبب ذلك فقبل لي انها معتلة الجسم وتشكو دائماً الماء في صدرها وتصاب احياناً بنوب سعال فتتحمل اختها السليمة مضض ملازمة الفراش وليس لها غير الصبر حيلة حتى تزول تلك النوب . وحياناً يعترى هذه الفتاة المعتلة اسهال حاد فيجبر اختها السليمة الى حيث نقضي حاجتها مراراً عديدة ليلاً ونهاراً . وقد اخبرني المستخدم بامور كثيرة من مثل هذه عن معيشة تينك المظلومتين التي جارت عليهما الطبيعة واسم السليمة منهما رادبكا واسم المعتلة دودبكا . ثم كررت الايام وانستني رادبكا ودودبكا الى ان كنت ذات يوم اقرأ احدى الصحف فوقع نظري على مقالة عنوانها "دودبكا مريضة" فذكرت اذ ذاك التوأمين وقرأت المقالة بلهفة مشتاق فعملت ان دودبكا المصدورة قد زادت نحولاً وشحوباً وتواترت عليها نوب السعال حتى اضنتها وذهبت بصبر شقيقتهما المظلومة فأرسلنا الى احد المستشفيات حيث يبحث الاطباء في جسم المعتلة فوجدوها مصابة بتدرن رئوي وبريتوني "داء السل" وأنه يخشى ان تصاب شقيقتهما بالعدوى . ثم عقد اولئك الاطباء مجلساً تحت رئاسة الجراح الشهير الدكتور دويان (Doyen) وبعد البحث والمناقشة قرأ الرأي على قطع الصلة بين هاتين التوأمين وفصل رادبكا السليمة عن دودبكا المعتلة ولم يقر الرأي على ذلك الا بعد جدال طويل اثبت فيه الجراح دويان بالدليل والبرهان ان العملية ممكنة وأنه لا يخشى منها على حياة التوأمين . واخذ على نفسه القيام بالعمل في اكلينيكيه الخاص في اليوم التالي

فوطدت النفس على مشاهدة العملية رغمًا عن انقطاعي في باريس لامراض العين دون سواها نظراً لغرابة تلك العملية وندرته

وفي الغد وكان الحادي عشر من هذا الشهر وهو الاجل المضروب لعمل العملية هرولت في الساعة المعينة الى اكلينيك الجراح دويان فوجدت هنالك من الاطباء المختلfi الاجناس والملل والنخل خلقاً عظيماً وكلهم محيطون بسرير العمليات احاطة الجياح بالقصاع . وكان الجراح وافقاً بينهم مشمراً عن ساعديه يشرح لهم طريقة العملية . ولما دنت الساعة اتى المساعدون بالتوأمتين ونزعوا ما كان عليهما من اللباس وارقدوها على السرير وكلف اثنان من الاطباء المساعدين بتشميمهما الكلوروفورم . ولما قُربت آلتا تشميم الكلوروفورم من انفيهما دُعرتا فصاحتا واستغاثتا وبكتا وتعانقتا ثم سلطنا امرها الى الله . ولما فعل الكلوروفورم فعله واصبح التوأمتان في سبات النوم العميق اخذ الجراح مشرطه وفي اقل من لمح البصر شق الجلد والنسيج الخلوي على طول الالتصاق فوجد تحت الجلد فصاً من كبد دويدكا ممتداً الى احشاء رادبكا وكان ذلك طبقاً لما ظننه قبل الشروع في العملية . ثم ترك المشرط واخذ سكيناً كبيراً وقطع ذلك الفص الكبدي بسرعة فالتفجر الدم من وعائين شرياني ووريدي فلم يضع الوقت بربطها كما يفعل الجراحون عادة بل استعمل آلتة الخصوصية الضاغطة التي دعاها لانجيوتريب Langiotribe وهي جفت ضاغط كبير تضغط به الاورام الغليظة كورم المبيض وما شاكله بعد قطعها لابقاف النزف دفعة واحدة . ولما اوقف النزف ولم يستغرق ذلك اكثر من بضع ثوان قطع جلد الالتصاق من الجهة الخلفية وبذلك تم الانفصال بين ذينك الجسمين اللذين ظلاً ملتصقين احد عشر عاماً وبعد ذلك خاط جرح دويدكا وخاط احد مساعديه جرح رادبكا ووضعها في كل من الجرحين انبوبة درنجة ثم غطوها بغبار معقم ولم تستغرق العملية اكثر من خمس عشرة دقيقة . اما الالتصاق الذي قطع بما فيه الجلد والنسيج الخلوي والكبد فكان طوله ١٥ سنتيمتراً وعرضه ١٠ وسمكه ٥ . ولما انتهت العملية وكانت الفتاتان لا تزالان تحت تخدير الكلوروفورم امر الجراح ان لا تبعدا بل ان ترقدا في سرير واحد لكي لا تذعرا اذ ترى كل منهما انها مفردة لانهما ما عرفتا الافتراق منذ خلقتا ولم اشأ ان اكتب اليكم عن هذه العملية حتى ارى ماذا تكون نتيجتها فبقيت خمسة ايام متباعدة قراءة الجرائد المهتمة بامرها فكانت كل الاخبار متفقة على ان حالة رادبكا تحسن يوماً فيوماً اما دويدكا التي كانت مسلوطة فقد زادت بها العملية ضعفاً على ابالة فصارت من رديء الى اردأ وما زال الفناء والحياة يتنازعانها حتى تغلب الفناء ففاضت روحها في الساعة السابعة من صباح يوم امس

الدكتور ابراهيم شدودي

مرسيليا في ١٧ فبراير

النمو في الصيف والشتاء

حضرات استاذي الفاضلين منشئي المقتطف الاعز

قد طالعت في الجزء الاخير والصفحة ١٤٠ من مقتطف السنة الماضية سوّالاً من حسن افندي حسين عن النمو في الصيف والشتاء وراجعت رأي العالم ملن هنس في الصفحة ١٦٦ من المجلد الثالث عشر الذي تشيرون اليه في جوابكم فلم ارتض برأيه في سبب السمن في الخريف كما ان حضراتكم غير مرتضين به كما يظهر من ثقتيكم علي كلامه فرائت ان ابدى رأياً في ذلك لعله يفيد بعض البسطاء من قراء المقتطف اذا تكرتم بادراجته فيه . اما العلماء الذين يعرفون طبيعة كل من فصول السنة وتأثيرها في ابدان الاحياء فلا يحتاجون الى ارشادي لمعرفة السبب الحقيقي لسمن الاحياء في فصل الخريف

ان فصل الشتاء قاس على الاحياء فيفتك بها ان لم تحصن بالقوة فالطيور واكثر الحيوانات لا تبيض ولا تلد الا في فصل الربيع اذ تجوز صغارها سن الصغر فتشند قبل هجوم فصل الشتاء الذي لو اناها وهي صغيرة لاماتها وكذلك اكثر النباتات تزهر في الربيع فنثر وتنضج فيه او في الصيف قبل حلول عواصف الشتاء وبرده وهذه الطبيعة لم تخلق في الاحياء حين خلقت بل كانت الاحياء تنتج في كل وقت من السنة بعضها يعقب بعضاً ولكن لم يبق اخطار الشتاء من نتاجها الا الربيعي فبال تكرار صار طبيعة موروثة ان لا تنتج الاحياء الا في الربيع . وعلى هذا المبدأ كان اجدادنا وهم في حال الهجيرة وقبلها يموتون في فصل الشتاء افواجا ولا يبق منهم الا من اكتسب صدفة في فصل الخريف سمناً وقوة يعينانه على احتمال قر الشتاء فبال تكرار صارت زيادة السمن في فصل الخريف طبيعة موروثة في الاحياء فسبب ذلك في طبيعة فصل الشتاء لا في طبيعة الشمس كما ظن ملن هنس . علي ان هذه الطبيعة لن تبقى في الانسان الى الابد بعد ان صار يتي اخطار الشتاء بدون احتياج الى زيادة في قوته كما ان انتاجه لم يبق محصوراً في فصل الربيع . وربما فقدت او ضعفت هذه الطبيعة في امم تقادم عليها عهد التمدن . ولو بحث العلماء في مقدار ظهور هذه الطبيعة في امم مختلفة فلربما عرفوا السابق والاسبق منها الى التمدن

وربما عرفوا بهذا البحث منشأ بعض الامم كهنود اميركا الجنوبية مثلاً فان وجد ان زيادة وزنهم تحصل بين سبتمبر وديسمبر (ايلول وكانون اول) كما وجد ملن هنس فاصلهم من اسيا الشمالية وذلك يوافق المظنون وهو ان اسلافهم اتوا اميركا عن طريق بيرين والافهم من

اقطار جنوبية ولم يعرف اسلافهم طريق ببرين لان ما بين الشهرين المذكورين يكون في اميركا الجنوبية الربيع فليس هو وقت زيادة السممن. وان خيف ان يكون تبديل الاقليم قد بدل طبيعتهم فتعرض الخطأ في الحكم فمقابلتهم بالبيض الذين بينهم والذين في جنوبي افرقية واوستراليا نعصمنا من الخطأ

السلط
الدكتور ابراهيم الصليبي

باب الزراعة

السماد الكيماوي والمزروعات

نشرت معامل الهدوا في اميركا رسالة مختصرة ذكرت فيها ما يلزم من السماد الكيماوي لكل نوع من المزروعات التي تزرع في الاقاليم الحارة كاقليم القطر المصري فلخصنا منها ما يأتي لما فيه من الفائدة

البرسيم الحجازي ✧ تصلح له الارض العميقة التربة لان له جذراً اوسط طويلاً واذا كانت الارض طفالية او رملية يضاف اليها عشرون قنطاراً مصرياً من الجير لكل فدان . واذا كانت الارض ضعيفة قليلة الخصب وظهر ذلك في اصفرار ورق البرسيم يسمد الفدان منها بمئتي رطل من نترات الصودا . واذا لم تكن الارض قليلة الخصب فلا يزداد مقدار السماد عن مئة رطل للفدان

ولا بد للبرسيم الحجازي من البوتاسا والحامض الفسفوريك وهو يتناول النيتروجين من الهواء ولكنه لا يتناوله الا اذا كان مقدار البوتاسا والفسفور كافياً في ارضه . ويسمد الفدان بخمسة وسبعين رطلاً من البوتاسا و ٥٠ رطلاً من الحامض الفسفوريك اي بما فيه ٧٥ رطلاً من الاول و ٥٠ رطلاً من الثاني او نحو سبع مئة رطل من السماد الكيماوي لان البوتاسا فيه نحو عشرة في المئة والحامض الفسفوريك سبعة في المئة . وقد يستعمل كسب بزر القطن سماداً نيتروجينياً فيمزج بالتراب قبل زرع التقاوي

الموز ✧ الموز سريع النمو فلا بد له من ارض شديدة الخصب ليجد فيها الغذاء الكافي لنموه السريع ولا بد من ان يكون الماء كثيراً لريه . والارض الخفيفة السهلة الرطبة اصلح من غيرها له ولا سيما اذا كانت غنية بالمواد النباتية ويضاف اليها الجير لتحليل المواد

النباتية واذا كانت المواد النباتية كثيرة في الارض فهي في غنى عن السماد النيتروجيني ويسمد الفدان منها بنحو ٧٠٠ رطل من السماد الذي فيه بوتاسا و حامض فوسفوريك . واذا اصفر ورق الموز فذلك دليل على انه يحتاج الى النيتروجين فيسمد الفدان منه بمئة رطل الى مئتي رطل من نترات الصودا

❖ الفول ❖ الفول من النباتات التي تأخذ النيتروجين من الهواء فيحتاج الى سماد من البوتاسا والفوسفور اذا كانت الارض فقيرة بهما واذا زيد نيتروجين الارض كبر نبات الفول وكثر ورقه ولكن قل بزره . واذا كانت الارض خفيفة والمواد النباتية قليلة في تربها فسمد الفدان منها بمئة رطل من نترات الصودا او بمئتي رطل من كسب بزر القطن

❖ البن ❖ يزرع البن اولاً صفواً قريبة بعضها من بعض في ارض طينية خصبة فيها كثير من المواد النباتية البالية وقد تسمد بنترات الصودا رطل منه لكل ما طوله مئة قدم من الخطوط التي فيها النبات . وبعد ستة اشهر ينقل النبات الى المزارع التي يراد زرعها فيها ولا بد ان يحفظ التراب حول الجذر حال قلع النبات لزراعة ثانية

ويزرع البن في مزارعه والبعد بين كل شجرة واخرى ٩ اقدام او نحو ذلك ولا بد من اختيار اقوى الاشجار واكثرها اعتدالاً وتختار الارض الطينية التي يوجد حصي في اسفلها والسماد الصالح للبن هو سماد النيتروجين والبوتاسا والحامض الفوسفوريك

ستأتي البقية

السماد النيتروجيني

النيتروجين عنصر لازم لكل الاجسام الحيوانية والنباتية وهو موجود بكثرة في بعض النفايات كنفایات المسالخ من الدم ونحوه وفي الجوانو او زبل الطيور البحرية وفي كسب بزر القطن وبزر الخروع . واكثر ما يكون في الاسمدة الكيماوية ومنها نترات الصودا وكبريتات الامونيا والاول ملح يوجد في بعض الاراضي والثاني من فضلات معامل غاز الضوء وهذان المحان يذوبان بسهولة فيستفيد النبات منهما حالاً ولا سيما نترات الصودا فانه سهل الذوبان جداً ولذلك لا يضاف منه الى الارض الا مقدار قليل كل مرة على حسب حاجة النبات الوقتية والا ذاب كله ذهب من الارض مع ماء الصرف قبل ان تستفيد المزروعات منه اما السماد النيتروجيني الآلي ككسب بزر القطن وفضلات المسالخ فلا ينحل سريعاً ولكنه لا تنتظر منه الفائدة الا بعد ان يضاف الى الارض بمدة فيضاف اليها قبلما يزرع النبات فيها

ومن المزروعات ما يستمد جانباً كبيراً من نيتروجينه من الهواء كالفول والبرسيم فلا يحتاج الى السباخ النيتروجيني وزد على ذلك انه اذا حرثت الارض وهو فيها حتى انظر بترابها كله او بعضه زاد خصبها بالنيتروجين الذي اخذه من الهواء فيفعل بها فعل السماد النيتروجيني .
واذا اريد ان يزداد نيتروجين الارض بسرعة يضاف اليها قليل من فصفات البوتاسا
واذا تكونت في الارض حموضة من طمر النبات فيها تصلح باضافة الجير اليها وخير من ذلك ان يترك النبات حتى ييبس ثم تحرث الارض ليظهر فيها يابساً

انواع الاسمدة

اسم السماد		ما فيه من النيتروجين ما فيه من الحامض الفسفوريك	
الاسمدة النيتروجينية	نترات الصودا	١٥ الى ١٦	في المئة
	نترات الامونيا	١٩ " ٢٢	
	الدم الجاف	١١ " ١٢	٢ الى ٤
	كسب بزر القطن	٦ ١/٢ " ٧ ١/٢	٢
الاسمدة الفسفورية	كارولينا فصفات الصودا	٢ الى ١٥	
	فلوريدا	١٣ " ١٦	
	تمسي	١٣ " ١٦	
	فحم العظام الذواب	١٦ " ١٧	
	دقيق العظام	٤ الى ٢	٥ " ٨
	العظام الذوابة	٢ " ٣	١٣ " ١٥
الاسمدة البوتاسية	جوانوبيرو	٦ " ١٠	٨
	مربات البوتاسا	٥٠	في المئة من البوتاسا
	كبريتات البوتاسا	٥٠ الى ٥٥	" "
	كربونات البوتاسا	١٨	" "
	رماد قشر بزر القطن	٢٠ الى ٣٠	" "
	ملح البارود	٤٣ " ٤٥	" "
	الرماد	٢ " ٨	

نيتروجين	بوتاسا	حامض فسفوريك
٣٤	٤٠ في الالف	١٦
٥٨	٥٣	٢٨
٨٣	٦٧	٢٣
١٦٣	٨٥	١٥٤

تجهيز ارض القطن

نشرت مجلة نقابة المزارعين فصلاً مفيداً في تجهيز ارض القطن خلاصته ان الارض التي تُخَدَم لزراعة القطن ١. ان تكون مزروعة برسياً فيحش او يرعى وتحث ارضه واما تكون الارض قد زرعت ذرة او غيرها وبوترت . وحرت الارض التي كانت مزروعة برسياً اصعب من حرت الارض المبورة ولا سيما اذا استعمل المحراث البلدي فان المحراث الافرنجي ذا الجناح اصح من المحراث البلدي لفق الارض لان المحراث البلدي لا يقلب الارض فيبقى البرسيم في القلاقل التي يرفعها منها وينمو ثانية حتى لقد بقي فيها اخضر بعد الحرثة الثانية واما المحراث الافرنجي ذو الجناح فيقلب الارض قلباً ويعرض جذور البرسيم للشمس والهواء فيجف ويتبس ويدفن باقيه في الارض فينخل ويصير غذاءاً للقطن

واذا بعدت الخطوط بعضها عن بعض بالمحراث الافرنجي تكونت به قلاقل كبيرة وينعم ذلك بان يعمق الحرث الى عمق ٢٠ سنتيمتراً وتقرّب الخطوط بعضها من بعض حتى تكون على بعد ١٠ سنتيمترات الى ١٢ سنتيمتراً وحينئذ لا يستطيع الفلاح ان يحث اكثر من نصف فدان في النهار

ولا بد من ان يكون المحراث الافرنجي جامعاً لهذه الشروط وهي

اولاً ان يكون خفيفاً حتى يسهل على زوج الثيران جره

ثانياً ان يكون بسيطاً سهل الاستعمال على الفلاح

ثالثاً ان يكون متيناً

رابعاً ان يكون سهل التعمير

خامساً ان يكون رخيص الثمن

ولم يذكر الكاتب اسم محراث مخصوص لئلا يقال انه يقصد اشتهاره . وحذا لو ذكر اسم محراث او محراثين او اكثر من المحاريث التي يعلم انها اوفى بالغرض من غيرها اذا كان

وأنها كذلك لان النفع العام لا ينفي بالنفع الخاص ولا بد من ان يهتدي ارباب الزراعة اي افضل المحاربت بعد التجارب العديدة والخسائر الكثيرة فعلى م لا نكفيهم مؤونة الخسارة والتعب ونفيدهم باختيارنا ونرشدهم الى المحراث الذي وجدناه اصلح من غيره . اما اذا كان حفرة لا يعرف محراثاً وافياً بالغرض فتلك مسألة اخرى

وقد شاهدنا المحراث الافرنجي تحرث به الاطيان امام المدرسة الزراعية في الجزيرة فوجدناه بقلب الارض جيداً وحرثه عميق حسب المطلوب ولكن زوج الثيران لا يحرث به الا نصف فدان في اليوم وهو سريع العطب . اخبرنا الفلاح الذي كان يفلح به ان سلاحه انكسر في اليوم السابق فاضطر ان يركب له سلاحاً آخر غيره ولو لم تكن الاسلحة موجودة عندهم لامتنع استعماله بعد ذلك . فكيف يتسنى للفلاحين في بلاد الارياف ان يستعملوا محراثاً مثل هذا ولا حد اد عندهم ولا نجار

ثم قال الكاتب انه يلزم للقطن حرثة عميقة بعد حرثة البور (البرش) ولا بد من ان تكون عميقة جداً لان جذر القطن يغور في الارض ٥٠ او ٦٠ سنتيمتراً وذلك يحدث في الامامي الكبيرة بالمحاربت البخارية اما في الابعاد التي ليس فيها محاربت بخارية او تحرث ارضها بالثيران فلا يصعب تعميق الحرث على المجتهد صاحب الهمة وذلك بان تحرث الارض وجهين (فك الارض والتثنية) وتزحفها ثم تحرثها مرة ثالثة وتزحفها في خط المحراث المحراث الباش او الفخار فالاول يغور في الارض الى عمق ١٥ سنتي والثاني يغور فيها ١٥ سنتي اخرى فبصير العمق ٣٠ سنتي على الاقل

ومن مزايا هذا المحراث ان زوجاً من الثيران متوسط القوة يستطيع الاشتغال به من الصباح الى المساء مع الراحة

ومتى كان الحرث عميقاً يسهل على جذور القطن الغور في الارض وتحمل العطش بسبب المناوبات الطويلة فضلاً عن زيادة الغذاء . قال والمحراث الفخار الذي يستعمله هو من بيت رودسك من المانيا ووكلاؤه في مصر الخواجات برتشنيدر وشركاؤه وهو يحرث نصف فدان في اليوم بدون ان يتعب البهائم

ولا بد لتنعيم الارض من حرثة تكميلية وبعض اصحاب الابعاد يحرثون ارض القطن ست حرثات او اكثر والغرض من كثرة الحرث تكسير القلاقل وتهوية الارض . وبعض الفلاحين يكسرون القلاقل بالفاس فيكلفهم الفدان ١٨ غرشاً الى ٣٠ غرشاً واثار باستعمال زحافة كروسكيل والقصائية ذات الاسنان الحديدية واذا كانت زحافة كروسكيل خفيفة

جرها زوج من الثيران بالراحة وكسرت القلاقليل بسمولة وهي تزحف فدانين الى ثلاثة في اليوم
ويوجد آلة يجوز استعمالها بدل المحراث البلدي وهي افيد منه في تكسير القلاقليل وتهوية
الارض لها خمسة اسنان او سبعة حسب الاحوال والتي بخمسة اسنان مستعملة في اعادة
نوبار باشا بشيرا

وخلاصة القول ان تجهيز ارض القطن يشمل العمليات الآتية

اولاً. البرش بمحراث ذي جناح مع الاقلال من العرض بين الخطوط والاكثر من تعميقها
ثانياً. حرثة ثانية بالمحراث البلدي
ثالثاً. تزحيف الارض بزحافة كروسيكيل وحرث وجه ثالث اما بالمحراث ذي الجناح او
بالمحراث البلدي بحيث يعقبه المحراث الحفار لقلب الطبقة السفلى
رابعاً. كسر القلاقليل بواسطة زحافة كروسيكيل الصغيرة والقصائية
فاذا حرثت ارض القطن كذلك وسبخت بالسباخ المناسب حقاً ان ينتظر منها محصول
من الطبقة الاولى

جوائز المعرض

نال الجائزة الاولى للقمح البحيري الاحمر البرنس عمر باشا طوسن وللقمح الصعيدي الاحمر
بوغص باشا نوبار وللقمح المصري الابيض احمد بك دله وابو زيد بك طنطاوي وللقمح
الاجني الابيض المزروع في مصر محمد بك حسن وبوغص باشا نوبار. وللشعير البلدي مدام
اغويان باشا وللشعير الاوربي المزروع في مصر مدام اغويان ايضاً وللقلول البحيري رباش
باشا وللؤل الصعيدي احمد بك دله وللذرة البلدية البرنس عمر باشا طوسن واحمد بك
حمدي وللذرة الاجنبية المزروعة في مصر عمر بك سلطان. وللذرة الرفيعة ابو زيد بك طنطاوي.
وللارز السلطاني عبد اللطيف افندي. وللارز السبعيني بوغص باشا نوبار. وللعس البحيري
محمد سعيد الكبير. وللعس الصعيدي محمد سعيد الحي. ولدخن مدرسة الزراعة. وللؤل
السوداني البرنس عمر باشا طوسن. ولبزر الكتان ابو زيد بك طنطاوي. وللمسم الابيض
تفتيش الوادي. وللمسم الاممر تفتيش الوادي ايضاً. وللحبة محمد بك راسم. ولتقاوي البرسيم
البعلي عمر بك سلطان. ولتقاوي البرسيم المسقاوي ابو زيد طنطاوي. ولتقاوي البرسيم
الحجازي بوغص باشا نوبار. وللمص محمد سعيد الكبير. وللمرس علي السيد. وللمرم

الفعل بوجع باشا نزار . ولتقاوي التيل مدرسة الزراعة . وللوبياء حسن شناوي . ولتقاوي
البل محمود الغنبي

ونال مدالية الفضة المذهبة للقطر الميت عفيف عن مركز طنطا والسنتة مدام
اغويان وعن مركز شربين والبراس محمد بدرابي عاشور . وعما يقابل بنها محمد الغنبي وعن
بليس دائرة فائقة هانم وعن ههيا والزقازيق دائرة القصر العالي وعن المنصورة وميت سمند
والبحر الصغير المسمو انديزاكي وعن طوخ وقلوب وبها والقناطر الخيرية والجيزة ابرهم بك
مراد . وعن الميت عفيف في الصعيد رياض باشا وعن العباسي في اشرية محمد بك راسم وفي
الجيزة البراس حسين باشا كامل وفي القليوبية دائرة الخاصة بمسترد . وعن النيوفتش في الغربية
ابرهم بك مراد

بالتفريض والاشمات

دليل المسافر

اشرنا الى هذا الكتاب النفيس في المقطم ووعدنا ان نسهب الكلام عليه في المقتطف
فان مؤلفه الفاضل السيد احمد بك الحسيني المحامي الشهير حقق طول الميل والخطوة والذراع
والقدم بالتر وجزائه بعد ان ذكر اختلاف الائمة والكتاب فيها مستنداً الى كثير من
الكتب والشروح مما يدل على انه قضى اباماً يبحث وينقب عن هذه المسألة لعلاقتها بالعبادات
ولانها مسألة علمية تستحق ان توفي حقها من التخصيص حتى لا يبق فيها مظنة ريب
اما طريقة تحقيقه ذلك فهي انه وجد بالاخبار ان متوسط سير الاقدام المعتدل لا يزيد
على مئة خطوة وخطوتين في الدقيقة ولا يزيد اتساع الخطوة فيه على ٦٥ سنتيمتراً فيكون سير
الانسان بالقدم سيراً معتدلاً ٣٩٧٨ متراً في الساعة هذا هو سير القدم المعتدل المعتاد .
وتحرى سير الابل واستقصى ذلك من عدد كثير من لهم وقوف وخبرة على مقدار ما يمكن
ان تسيره الابل المثقلة بالاحمال في ارض سهلة كما بين القنطرة والعريش فلم ان البعير
لا يسير في مثل هذه الارض اكثر من اربعة آلاف متر في الساعة الواحدة . وهو قريب
جداً من سير القدم المتقدم ذكره . واحضر ابلًا وسارت امامه في اوقات مختلفة فلم يتغير

سيرها عن ذلك فيكون مجموع ما يسيره' المسافر في يومين (٢٢ ساعة بترك ساعيتين للراحة)
 ٨٨٠٠٠ متر . ولذلك فالميل الذي هو جزء من ثمانية واربعين جزءاً من مسافة "القصر"
 يعدل ١٨٣٣ متراً وقال المؤلف انه مقدار قديماً ١٨٥٥ متراً وهذا قريب جداً من المقدار
 الذي وجدته بالامتحان وان المراد بالباع والذراع الباع الفلكي والذراع الفلكية والذراع ربع
 الباع وهي ٤٦ سنتماً و $\frac{2}{8}$ فاذا ضربت باربعة آلاف وهي اذرع الميل كان الحاصل ١٨٥٥
 متراً وذلك مقدار الدقيقة الارضية . واذا قيل ان الميل ثلاثة آلاف ذراع كما في عبارة
 القاموس او اربعة آلاف ذراع فالمراد بالذراع ذراع الاقدمين التي كل ثلاث منها تساوي
 اربعاً من اذرع المحدثين وهي اثنتان وثلاثون اصبعاً او ٦١ سنتماً و $\frac{7}{6}$ فاذا ضرب طول
 هذه الذراع في ٣٠٠٠ فالحاصل ١٨٥٥ متراً وهو عين المقدار السابق . ويصح ذلك ايضاً
 اذا اعتبر الميل الفا ذراع او الف ذراع لان في الاول يكون عدد الاميال ٩٦ في مسافة القصر
 وفي الثاني يكون المراد بالذراع الباع . وكذلك اذا اعتبر ٣٥٠٠ ذراع على ما قاله الامام ابن
 عبد البر لانه يراد بالذراع حينئذ الذراع التي وضعها الخليفة المأمون لقيس له محيط الارض
 وطولها ٥٣ سنتماً كما يستدل على ذلك من طول مقياس النيل الذي نقش بامر الخليفة
 المتوكل على الله فاذا ضرب ٣٥٠٠ في ٥٣ كان الحاصل ١٨٥٥ متراً وهو طول الميل على ما تقدم
 والحاصل ان الاختلاف نسبي بين قولهم ان البريد فرسخان او اربعة فراسخ والفرسخ
 ثلاثة اميال او ستة والذراع اربعة وعشرون اصبعاً او اثنتان وثلاثون . فان كان البريد
 فرسخين والفرسخ ثلاثة اميال كان الميل ستة آلاف ذراع والذراع ٣٢ اصبعاً وان كان الفرسخ
 ستة اميال كان الميل ثلاثة آلاف ذراع بالذراع المذكورة او اربعة آلاف ذراع باعتبار الذراع
 ٢٤ اصبعاً وان كان البريد اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميال كان كذلك ان اعتبرنا الذراع
 ٣٢ اصبعاً كان الميل ٣٠٠٠ ذراع وان اعتبرنا الذراع ٢٤ اصبعاً كان الميل ٤٠٠٠ ذراع .
 واذا كان البريد اربعة فراسخ والفرسخ ٦ اميال كان الميل ٢٠٠٠ ذراع باعتبار الذراع الواحدة
 ٢٤ اصبعاً واما على اعتبار الميل ٣٥٠٠ ذراع فيكون البريد ٤ فراسخ والفرسخ ٣ اميال والذراع
 ٥٣ سنتماً . والذراع على اعتبارها ٢٤ اصبعاً يكون طولها $\frac{6}{8}$ ٤٦ س وعلى اعتبارها ٣٢
 اصبعاً يكون طولها $\frac{7}{6}$ ٦١ س وعليه فمسافة القصر عند الائمة الثلاثة اربعة برد وهي ٤٨
 ميلاً الا على اعتبار الميل ٦٠٠٠ ذراع او ٢٠٠٠ ذراع فعلى الاول تكون المسافة ٢٤ ميلاً
 وعلى الثاني تكون ٩٦ ميلاً وعلى كل التقادير البرد واحدة والمسافة واحدة لا خلاف في مقدارها
 وانما الخلاف في تقسيمها

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على ما في الكتاب من التحقيق والتدقيق في هذه المسألة وغيرها من المسائل الشرعية التي بحث فيها وقد وقف على هذا الكتاب جماعة من علماء القطر فقرّظوه واثنوا على مؤلفه بما هو أهله ونحن نشاركهم في الإعجاب بهمته والثناء على حضرته . وقد زاد تفضلاً فقدّم الكتاب مجاناً لكل من يطلبه وهي اريحية تذكر لشكر

ثانية عشر يوماً في صعيد مصر

وهذا كتاب آخر ذكرناه في المقطم بالإيجاز وهو رحلة القاضي الفاضل السيد محمد مجدي بك من مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية وصف فيه ما شاهده في رحلته الى الصعيد منذ نحو عشر سنوات واستطرد الى الكلام على تاريخ المصريين وآثارهم فوصف هياكلهم ومدافنهم وشعائر ديانتهم والمدن التي مرّ فيها ذهاباً واياباً وخلاصة تاريخها . وقد ابدع في الوصف حتى كأنه شاعر يصف صور الخيال لا ناثر يقرر حقائق ما يرى ويسمع واسلوبه في الوصف افرنجي وان شئت فقل آري لم نعهده اذن سامي عربي كقوله وهو امام مدافن بني حسن

”فت من فجر الاثنين ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣١٠ وابتدأت مع لياحة غوغاء كانت تعلو كما طلع الصبح فكانها كانت صوت رعد بعيد تشتت بفرقة على مسافة قاصية جداً امام اشعة الشمس او كأنها صراخ قوم اخذوا على انفسهم اعلان الفجر وبداية النهار باصوات يخافها الليل فيفر امامها بجيشه ثم تطلع عليهم الشمس وهم لا يكادون يفقهون قولاً مما يذكرون ويكررون لما اضع الصباح خرجت من مضجعي ولحظت القوم بالبر مختلطين بجمهرهم قياماً وقعوداً بحيث يصعب مع بعض الضباب تمييزهم على بعد من بعضهم ولولا كلمة البقشيش التي كانت تخرج من افواه اولئك القوم بملئها لظننتهم حضروا في عصبة يطالبوننا بحق سياسي او بأجر عظيم نفهم اننا اولو امر فيهم ولنا عليهم الحكم تلك الساعة

هو البقشيش تسبّح له بالصعيد رجاله ونساؤه وتولد فيه الاطفال ناطقة باسمه العزيز وهو كمن في صدورهم جميعاً نظره رؤيه غريب او حضرة امير غير حاكمهم . وكثيراً ما قرأت عن البقشيش في كتب السياحات في الشرق وكنت اظن ما ورد فيها من قبيل الخرافات او اتوهمه مقالة في القول او التنديد بالشرق وبلادنا ولكنني علمت بعد العيان والتأكيد بنفسني اني قرأت حقاً وأنه لم يبالغ كاتب او سائح فيما كتب وذكر في مؤلفه وشرح في رحلته بل ما قيل عنه كان دون الحقيقة وأنه اذا ملا صفحات سياحته بذكر البقشيش واربابه فلا يخرج عن حد

الاعتدال في وصف ما يشاهده الانسان ويسمعه في الصعيد من سكانه بخصوص ذلك الامر هل اقول اني كنت لا اسر بما عاينته عن امر البقشيش والنداء به مع اني كنت اخل في سري من عبارة المطالبة به وفي حالة الطلب واني لا اعلم بما اصف بعض ظروف التماسه آنأ ومكاناً وقد شاهدت مرة جملة اطفال ينادون بكلمات بقشيش باخواجه في اثناء قضاء ... وكانوا بلباس جدهم ابي البشر وهو في جنته ولم رأيت ولم سمعت وما القول وهو الفقر كاد ان يكون كفرة وفقر النفس الناشئ عن تعاسة الحال والجليل (وهو ضرب من الكفر) امر من فقر اليد فعسى ان يعلن المصري بالجد والعلم والادب كرامته بين الامم فيزهق الفقر من بلاد اظنها لم تخلق في الوجود للمحرص عليه وحدها

صحيح الصبح وظهر النهار واتضح فاجتمعنا على سباط الخوان وفطرننا ثم تجهزنا لزيارة الآثار الكائنة ببني حسن وما نزلنا الى شاطئ النيل حتى تهافت علينا رجال معهم حميرهم واولادهم وصبيانهم فن صارخ ومن شاتم ومن مزاحم ومن هاجم ومن بالك ومن شاك ومن مما يطول بذكره الشرح وهل انجلي ذلك الحال الا بامر من صاحب الامر (ولكل مقام) وانه لشبح مطاع بين الحمارين افراد طائفته والله در سعيد الدليل حيث اشار الى المرشدين بتلك الجهة ان لا محل للصراخ وان الحال داع للسكون

أعدت لنا هناك ركائب حقيقة حيوانات اشبه بالحميز صورة وهي دونها بكثير في الطول والعرض وما هي الا حمير تلك الجهة ولها فضيلة لا تهمل اذ يأمن راكبها مع صغرها وقصرها من السقوط وضرره فانه اذا وقع الحمار على الارض كان راكبه واقفاً على قدميه بلا مشقة ما وهل حسبت السياحين اغفلوا ذكر حمير بني حسن فقد جعلوا لها كلمات باسطرهم اوجبت لها شهرة اكبر من حجمها ومع ما قيل فيها وما اعيد فهي باقية في تواضعها المتناهي بها الى الوهن تحت سروج بالية في غاية من التلف والوساخة

وقال بعد وصف ما شاهده في قبور الملوك المعروفة بابواب الملوك

”قف يا ابن آباءي واسمع حديث مفتون بسيرة اجدادك الكرام واصغ لقول مشغول بزيارة قبور القدماء عن الغداء (والجوع كما تعهد قاهر كافر لا يصبر على جزيته والتقسيم ليس من مألوف عاداته) فيا اخي لما انتهينا من الفرجة ولم يبق في التقريظ من الحزام فرجة ومالت الشمس عن فيء الظهر مد الانباع سباط مائدة بسيطة جداً من محارم وفوط على اشكال مختلفة ووضعت على الارض امام مدخل باب سيقي الاول فاجتمعنا نحن السياحون وكان بالقرب منا الحمارون وغيرهم وكانوا في شغلهم فاكهين يأكلون ويضحكون ويشربون ويتكبرون ويصرخون

ويقولون ما لا اود ذكره ولا يصح قوله وما لا اسم له واولئك هم الذين نعهدهم دائماً في كل وقت وفي كل مكان الاشقياء المسرورين والاذكياء المغبونين والضحاكين المسلوبين والناهين والمستعبدين

اما نحن فبمجرد ما وضعت مواد الخوان فافرجنا عن السرددين من حبسه المصغ وانتشلنا افراده من رقاده الطويل وتجردت السكاكين والشوك وعملت في لحوم طيبة من نسل ايبس المقدس وتسابقت حراب الطعام لطعن اجسام الفاخت والديك والطائر الكريم. وعلى الطاس ولثم الشعر الكاس ودار الحديث وكله الشفاء العاطر والمديح الفاخر على قدماء المصريين وملوكهم وكل السياحين صاروا يذكرونهم باحسن الذكر وكنا نقول عن ذلك الكثير حتى لم يكن بيننا الا ذكر اولئك الامجاد فتخيلت اننا جئنا قبورهم في موسم لهم نأكل الضحايا على ابوابهم وندعو خيراً لارواحهم وكأنها صلاة قامت بقربانها من فطيرة على صورة رع (الشمس الكبرى) ومن شريك يمثل تثليث اوزيريس وايزيس وهوروس (العزیز والعزى واللات أوهو) ومن مشروب البلح والعنب والزبيب وبهذا لولا مصافاتي لماء النيل القراح وحده لحسبت ذلك الخيال حقيقة وربما كنت ظننت الوقت عاد الى العتيقة

وقس على ذلك كثيراً من بدیع الوصف وسلسله وبينما القارىء يحاول تصوّر المناظر التي بصورها له المؤلف بالالفاظ ينتقل من حيث لا يدري الوقاً من الاعوام الى عهد القدماء كما ترى في قوله بعيد ما تقدم

”الدير البحري — الدير هذا في حالة تخرب بحيث لم يبق منه ومن مبانيه الا أجزاء يسيرة جداً ومقول انه كان من رسم وصناعة المهندس او المعمار شهوت او شخوت الذي اجتهد كثيراً في اتقان بنائه وابداع نقوشه بمهارة اوجبت اقبال الملكة هاناسو عليه حتى جعلته رئيساً من المقربين لديها

اما الملكة هاناسو فهي ابنة الملك طوطمس الاول من زوجته الشرعية التي اسمها احموس ونزوجت باخيها من ابيها من سرية واسمها طوطمس الثاني ثم نسب اليها انها قتلتها ودعت اخاه من سرية ثانية اسمها ايزيت وأشركته معها في الملك وزوجته بابنتها هاناسو مراره المولودة لها من اخيها طوطمس الثاني ولكن لم يلبث طوطمس الثالث كثيراً حتى انتقم من الملكة هاناسو على قتلها اخاه طوطمس الثاني وبلغ منه الانتقام حده الاقصى حتى طمس كل خاتم او خوطوش باسمها مما كان منقوشاً بهيكلها سابق الذكر

وقس على ذلك الكتاب كله فانه على هذا النسق من الوصف الشعري والشرح التاريخي

وحبذا لو زيد الاعناء بتنقيح لغته . وهو في مئتين وسبعين صفحة كبيرة موصحة بكثير من الصور والرسوم فنشكر حضرة القاضي الفاضل اعنائه بكتابه هذه الرحلة ونشرها . وهي تباع في مكاتب مصر الشهيرة وثمنها عشرة غروش

الطب الحديث

لما انشأ حضرة رصيفنا الفاضل الدكتور عيد مجلة طبيب العائلة خفنا انها تقفو خطوات غيرها من المجلات الطبية العربية فتحيا بضع سنوات حياة السقيم من قلة الغذاء ثم تموت فان تلك المجلات لم تمت لضعف في همّة اصحابها ولا لتزارة مادتها ولا لعدم الحاجة اليها بل لان عدد القراء الذين يشتركون في المجلات الطبية كان قليلاً فلا يفي ما يدفونه بنفقاتها اما الدكتور عيد فلم يقتصر في طبيب العائلة على ما يطلبه الاطباء وخاصة القراء بل عمم مواضعه وبسطها حتى يقرأه غير الاطباء وغير الخاصة فكثير الاقبال عليه حتى وجد حضرة منشئه من اقبالهم ما حده الى انشاء مجلة طبية خاصة سماها الطب الحديث وقد قال في مقدمة العدد الاول الذي صدر منها ان مجلة طبيب العائلة "صادفت من الاقبال والرواج ما شدد عزائنا على الثبات في القيام باعباء هذا العمل حتى امت سنتها السادسة وهي سائرة الآن في العام السابع وفي ذلك مصداق لما حدثنا به الوجدان من حاجة اهل الوطن العزيز الى نشره دورية تنبههم الى الطرق الواجبة لحفظ صحتهم وهي الكنز الثمين . وفي اثناء ذلك تواردت علينا الكتب من جمهور القراء وافاضل الزملاء الكرام يستحثون عزيمتنا لانشاء صحيفة نكون موقوفة على الطب وابوابه فجاء هذا النداء المتكرر مؤبداً لصوت الضمير الذي كان بناجينا للقيام ايضاً بهذا الامر الهام . غير اننا كنا نتردد بين الاقدام والاحجام لاننا رأينا كثيراً قد سبقوا الى مثل هذا العمل فلم يلاقوا ما يبتغونه في خطتهم او يؤيدهم في مشروعاتهم فلما رأينا النجاح رائداً لمجلتنا طبيب العائلة والضمير ينادينا بالجمهور يشجعنا زال ما كان يدور في خلدنا من التردد واستخرنا الله تعالى على القيام بهذا المشروع الجميل واننا والحق يقال لا نكتم القراء ما يحول دون مشروعنا هذا من المشاق والصعوبات وما يحول في خواطرنا من الاشفاق عليه وضعف الأمل بنجاحه لما نراه من نقائص ظل اللغة العربية وانتشار التعليم بين الناشئة من الشباب باللغات الافرنجية وتغلب هذه اللغات على لساننا الفصح خصوصاً في التعليم الطبي

واما الآن العدد الاول من هذه المجلة وهو مدبج بكثير من المقالات الطبية المفيدة

أفلام جمهور من نخبة الاطباء الاولى في البلاغرا للدكتور سندوث وهي ملخص خطبة تلاها في المجمع العلمي المصري . قال فيها ان البلاغرا مرض مزمن مستوطن غير معد مسبب عن تأثير الذرة الفاسدة يعترى افقر الفلاحين وينشأ عنه آفات في النخاع الشوكي والمعدة والامعاء ويؤدي احيانا الى الجنون وينشأ عنه ايضا نفاط جلدي يصيب الاجزاء المعرضة للشمس . ولفظة بلاغرا ايطالية معناها الجلد الخشن ورجح ان فساد الذرة الذي تنتج عنه هذه العلة ناشئ عن باشلس نتولد منه مادة سامة للانسان ولا يتولد هذا الباشلس في الذرة البلدية التي عليها مدار الغذاء في الوجه القلبي بل في الذرة الشامية او النيلية . وقد تبين من الاحصاءات الاخيرة ان في ايطاليا نحو ٦٠٠٠٠ مصاب بالبلاغرا

ويتلو ذلك مقالة وجيزة في الاغلو كوما المزممة للدكتور علوي بك وكلام عن الجمعيات والمجلات الطبية للدكتور فورونوف والدكتور توفيه وعن المصل المضاد للتيفويد وعن اليبستين للدكتور على زكي الذي اتفق هو واستاذهُ الدكتور ديجريه على تجربته واطهار فوائده الطبية واثباته انه يزيد في الجسم ويقويه وينشطه ويزيد قابلية الطعام ويثبت الفسفور في المجموع العصبي العظمي . وهو يستعمل الآن في الامراض الدرنية والامراض العصبية والعقلية وفي البول السكري والضعف العام وفي فقد شهية الطعام وضعف الاولاد وبلي ذلك اخبار طبية مختلفة مما لا يستغني الطبيب عن معرفته اذا شاء ان يبق مجاريا لهذا العلم الذي تكثر جرده كل يوم . فنشكر لحضرة رصيفنا الفاضل الدكتور عيد على هذه التحفة التي تحف بها الوطن وتنبئ لها النجاح

رواية هملت

لشكسبير عند الامة الانكليزية المقام الثاني بعد التوراة والانجيل يقتبسون من حكمه اكثر مما يقتبس من حكم الجامعة ويمثلون باياته اكثر مما تمثل بايات المتنبي . كتائبهم وشعراؤهم وخطبائهم وجمهورهم في احاديثهم رجالا ونساء يرصعون اقوالهم بالدرر القوالي المقنسة من بحر شكسبير شاعرهم الاكبر وفلسوفهم الاشهر حتى لقد قالوا اخيرا ان الناظم له باكون الفيلسوف لاشكسبير الممثل . والذين درسوا اللغة الانكليزية منا واطلعوا على آدابها حذوا حذو الانكليز في التمثل باقوال شاعرهم حتى لقد قلنا لسيدة سورية قبل كتابة هذه السطور ان هذا الكتاب رواية هملت مترجمة الى العربية فقالت على الفور Frailty, thy name is woman ثم اخذت تمثل بايات اخرى من ايات هملت ولذلك انتظرنا ان نرى المعاني

المنسوبة الى شكسبير التي ابتكرها واخترعها محفوظة في ما يترجم منه الى العربية لكننا قلنا رأينا شيئاً منها. الا أن معرب هذه الرواية (وهو الكاتب الاديب والشاعر المطبوع طانيوس افندي عبده) ترجمها عن الترجمة الفرنسية ولا ندري كم حفظ المترجم الفرنسي من المعاني الاصلية. ثم انه اودعها من الشعر الحسن ما لا يقل عن شعر شكسبير رونقاً كقوله عن لسان هملت ابني اين انت تنظر ما تم صار عرساً ذاك الذي كان ماتم اي فرق بين الكواسر والانسان ان كان قلبه ليس يرحم وقوله عن لسان اوليفيا

اصدقه لان الحب يبدو اذا ما هاج في القلب الغراما
وان صدقت اوائله فماذا يضر القلب ان جهل الخناما
ونثر الرواية حسن كنظمها فمنها لمعربها الشكر الجزيل

الاستقلال

انشأ حضرة المحامي الفاضل نجيب افندي شقراً مجلة انتقادية حقوقية قضائية اجتماعية اقتصادية ادبية فكاكية سماها الاستقلال جعل قيمة الاشتراك فيها ريالاً واحداً في السنة. ومواضيعها كثيرة كما تقدم لكننا نبحث فيها كلها كما يظهر من العديدين الذين صدروا منها في العدد الثاني وهو امامنا الآن كلام عن تسخير المحامين وعن دين المجرمين على مذهب الاستاذ لمبروزو وعن نقائص القانون المصري. وعن آداب المجرمين اللغوية. وعن كيف يمكننا ان نربي رجالاً. وعن الشجاعة الادبية. والانتخابات لمجلس حلوان المحلي. وجانب من كتاب في المسؤولية لحضرة صاحب الاستقلال. وكان حضرة جري في ما كتبه عن الانتخابات على حسب قوله في الشجاعة الادبية الشجاع من ابدى رأيه حرّاً خالياً من شوائب الغرض. وهو قول صحيح ولكن هذا الشجاع لا يفيد احداً برأيه الا اذا كان رأيه صواباً. فالشجاع المفيد هو الحصيف الرأي الواسع الاختيار الذي علمته التجارب ما هو المفيد وما هو غير المفيد فارتأى الرأي الصواب وابدى رأيه حرّاً خالياً من شوائب الغرض والا فان كان الرأي فطيراً او كانت خبرة صاحبه قليلة فخير له ان يكتمه في صدره لئلا يكون من ابدائه ضرر. وفوق الامم هم اهل الحنكة والتجارب الذين نجحوا وارشدوا غيرهم في طرق النجاح واخثاروا اقل الشرين واخف الضررين لا الذين قاوموا وجادلوا وجاهرُوا بما اعنقده صواباً ولو كان بعيداً عن الصواب او كان من المجاهرة به ضرر يفوق الكتان كثيراً

هذا واننا نرحب بمجلة الاستقلال ونود ان تجرّز قصب السبق في بث الآراء الحكيمة ونشر الفوائد العميمة

الشرق المصور

لا مشاحة في ان الصور تزيد المجالات رونقاً وتغني عن الاسهاب في الوصف وترسخ المعاني في الازهان ولا بد من ان يزيد الاعتماد عليها في مجلاتنا العلمية والادبية كلما زاد انقاذ صناعة الحفر الكهربائي وقت نفقائه . والشرق المصور من المجالات التي جلت في هذا المصمار فقد انشأه حضرة مديره الفاضل احمد بك كامي الكريدي ليكون مجلة علمية ادبية فنية صناعية وزينة بكثير من الصور الشرقية والغربية فافتتح الجزء الاول منه برسم الجناح الخديوي وانبه برسم جبل طارق والقناطر الخيرية والمرحوم خليل رفعت باشا وجامع محمد علي في مصر . وفيه كلام مسهب عن المدينة الحاضرة وغايتها واصولها وعن مصل شائتمس المضاد للتيفويد وترشيع الماء والمرشحات وخواص الاثمار النافعة صحياً . وورق الشرق جيد وطبعة متقنة وصورة واضحة فندعوله بالنجاح التام

الوهابية The Wahabis

مقالة للقس الفاضل الدكتور زويمر نليت في جمعية فكتوريا الفلسفية في اصل الوهابين وتاريخهم وعقائدهم . ويظهر مما اورده في هذه المقالة ان الوهابية منتشرة في بلاد الهند حيث يسمي اصحابها انفسهم باهل الحديث والفرقة الناجية والموحدين والمجاهدين لكن عددهم فيها غير كثير فقد بلغ ٩٢٩٦ نفساً في الاحصاء التي تم منذ عشرين سنة ولعل كثيرين من الوهابيين هناك لا يجاهرون بمعتقدهم لانه نسب اليهم الحث على الجهاد ضد الحكومة الانكليزية فلا يعلم عددهم تماماً قال المؤلف انه لقي واحداً منهم وسأله عن مذهبه فقال انه سني من الخنابلة وانكر انه وهابي لكنه لم يلبث ان قال انه تابع للامام عبد الوهاب . وهذا شأن الامام عبد الله بن ابي بكر بن قيم الجوزية صاحب كتاب الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية فانه يقول انه حنبلي ولا يقول انه وهابي

النتيجة الشرقية

كراسة كبيرة فيها كثير من الفوائد والتقويم انشأها حضرة الصيدلاني المتفنن يوسف افندي الخوري لسنة ١٩٠٢ ومن الفوائد التي تتضمنها كلام مسهب على البعوض والعدوى . ونصائح صحيحة لمقاومة الامساك وهييجن المصابين بالبول الزلالي

بَابُ الْمُسْتَكْبَائِلِ

فمنا هذا الباب منذ أول انشاء المقنطف ووعدنا أن نجيب فيه مسائل المشركين التي لا تخرج عن دائر بحث المقنطف. ويشترط على السائل (١) أن يضيء مسأله باسمه والقبيل ومحل اقامته امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ^{لنا} ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليذكره سائلة فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كافيه

(١) لذة النوم

كفر طحا . احمد افندي محمد رزق .
متى يجد النائم لذة النوم أقبل النوم ام بعده
ام في حالة النوم فاذا فرضنا انه يجدها قبل
النوم فهو متهيء للنوم او في حالة النوم فانه لا
يدرري لذة حينئذ او بعد فانها لذة انقضت
ج سئلنا هذا السؤال قبل الآن
فاجبنا عنه بما يأتي

”ج اللذة شعور عقلي والعقل يشعر بما
يحدث له في الحال وبما سيحدث له وبما
حدث وفات . فاذا تذكر لقاء حبيب شعر
بلذة وارتياح كما لو كان الحبيب حاضراً واذا
فكر بقرب دنوه شعر بلذة وارتياح ايضاً .
فيمكن للانسان ان يشعر بلذة من مجرد الفكر
بانه مُتعب وقد دنا وقت الراحة او بانه كان
متعباً فنام واستراح اي قبل النوم وبعده .

ثم ان الحواس لا تنام كلها دفعة واحدة بل
تدريجياً فننام حاسة البصر اولاً ثم حاسة الشم
ثم الذوق ثم اللمس ثم السمع اي تستريح من
العمل واحدة بعد اخرى ويشعر الوجدان

بهذه الراحة قبل ان ينام . وقد تستيقظ تدريجاً
ايضاً اولاً اللمس ثم السمع ثم الذوق الخ . وفي
مخادع النفس قوى اخرى تشعر بحالة الجسد
من الراحة والتعب وشعورها قد يقيد في
الذاكرة على صورة غير واضحة فتتذكره بعد
ما تستيقظ فاذا تعب الانسان وهو نائم فقد
يشعر بهذا التعب وهو نائم ويتذكر هذا
الشعور حينما يستيقظ كما اذا اصابته حمى
شديدة ف يشعر انه يحرق بالنار او برد ف يشعر
انه كان ماشياً على الثلج وهلم جرأ . وعليه فيمكن
للانسان ان يشعر بلذة النوم في اثناء النوم
وقبله وبعده

هذا ما قلناه منذ ١٥ سنة في الجلد
الثاني عشر من المقنطف ولا نرى وجهاً الآن
لتغييره

(٢) عدوى السل

طنطا . س . د . د . هل من خوف علي
انسان عمره ثلاثون سنة من عدوى السل
اذا عاشر المساول

ج نعم ونعرف شخصاً ظهر فيه السل بعد ان جاز الاربعين

(٢) الشفاء من السل

ومنها . هل يرجى لهذا المريض شفاء اذا استعمل الوسائط اللازمة ولو كان كهلاً

ج نعم ما دام السل في بداءته اي في الدرجة الاولى او الثانية واما اذا بلغ الدرجة الثالثة فالامل بشفائه قليل جداً والمرجح ان شفاؤه بعد ذلك محال ولكنه قد يعيش سنين كثيرة كأنه سليم لان السل يكون قد وقف عند حد محدود ولم يعد يتجاوزه

(٤) من خاف قاين

المراغنة . قرياقص افندي ميخائيل . جاء في العدد ١٤ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين قول قاين بن آدم موجهاً كلامه الى الله " قد طردتني اليوم عن وجه الارض ومن وجهك اخفني واكون تائهاً وهارباً في الارض فيكون كل من وجدني يقتلني " فمن كان يقصد قاين بقوله " من وجدني " ومن لا يستعمل الاً للعاقل هل خلق الله احداً غير ادم

ج جاء في التفسير الانكليزي المنسوب الى جاميسون وفوست وبرون ان قاين اراد اناساً من ابناء آدم وان نسل الانسان كان قد كثر حينئذ

(٥) صحة علامات الفراسة

ومنه . يزعم البعض ان للانسان علامات طبيعية تدل على صفاته فالشعر في العنق يدل على البخل والجبن وكبر الدماغ يدل على الذكاء فهل لذلك شيء من الصحة

ج بعضه صحيح وبعضه غير صحيح كما ترون في ما كتبناه وما سنكتبه في "الصحيح من الفراسة"

(٦) اسباب اللثغة

ومنه . هل اللثغة طبيعية في الانسان او توجد لها اسباب طارئة

ج اذا ترك الولد يلفظ الحروف كما يشاء ولم يصلح لفظه فقد ينجي في بعض الحروف كالراء والسين مخالفاً لفظ المألوف وهذه هي اللثغة وهي حينئذ طبيعية اي تكون مولودة ولكنها تزول بالتمرين والاعناء . وقد يصاب المرء بمرض كالتييفوس فينفض منه والنطق متعذر عليه ثم يتمرن على النطق رويداً رويداً ولكنه يبقى النغ في الغالب . فاللثغة حدثت هنا من علة عارضة

(٧) شعر الاقارع

ومنه هل يمكن انبات شعر الاقارع واذا كان يمكن فما الطريقة لذلك

ج اذا ترك القرع حتى يجري مجراه وقع الشعر به وتلفت بصلاته ايضاً ولم يعد نموه ممكناً واما اذا عولج باكرًا العلاج المناسب شفي ونبت الشعر ثانية

(٨) عيب خلقي

ومنه . رأيت غلاماً جفن عينيه الاعلى
مقطوع ثلثه تقريباً منذ ولادته فما سبب ذلك
ج تشوه خلقي لا يعلم سببه

(٩) دواء الامساك

دمهور . ا . ل احد المشتركين لي
قريب صحته جيدة لكنه مصاب بالامساك
وهذا الامساك حديث ويزول اذا استعمل
السنامي والحلبة والسكر ثم يعود ثانية . وقد
جاء في اعلانات المقتطف ان حبوب اب
جون ضد الامساك فهل هذه الحبوب تقطع
الامساك تماماً فلا يعود يرجع وان كانت لا
تقطعه فهل يوجد دواء آخر يمنع . وما السبب
لحدوث هذا الامساك

ج عرضنا سؤالكم على حضرة الدكتور
نقول انم صاحب الاعلان المشار اليه فاجاب
ان حبوب اب جون المشار اليها تقطع
الامساك اذا استعملت كما هو معلن عنها
وتركيبتها ليس خفياً فيستطيع كل طبيب ان
يطلع عليه فيقر بفعالها . اما الامساك الذي
تشبرون اليه فزجح انه مسبب عن بلادة في
الكبد وعدم افراز الصفراء الكافية واذا
جرب قريبكم هذه الحبوب ثبتت له فائدتها

(١٠) السمك واللبن

مصر . جرجس افندي بشارة . ما الضرر
من أكل السمك واللبن حتى قيل لا تأكل

السمك وتشرب اللبن

ج لا نرى في ذلك ضرراً وقد جرب
احد المشتركين في المقتطف اكل السمك على
انواع مختلفة وشرب اللبن واستمر على ذلك
مدة ولم ينله اقل ضرر

(١١) فائدة الخمر

ومنه . قيل ان القليل من الخمر يصلح
المعدة فاي نوع من الخمر اصلح من غيره وما
هو المقدار الصالح منه وما هي الاوقات
المناسبة لشربه

ج اذا اشار الطبيب بشرب الخمر
علاجاً وجب عليه ان يعين نوعها ومقدارها
والاوقات التي تشرب فيها . هذا اذا اريد
شرب الخمر علاجاً لتقوية المعدة واما اذا اريد
شربها لمجرد اللذة فالداس اذواق بعضهم
يفضل هذه الخمر وبعضهم تلك والغالب انهم
يشربونها مدة تناول الطعام

(١٢) كذب الحواة

ومنه . ما هي العزيمة التي يقولها مستخرج
الثعابين (الحاوي) حتى يجرد تلاوتها في
مكان فيه ثعبان يخرج الثعبان وبأني اليه
ولربما لا تعتقدون صحتها ناسبين اياها الى
الشعوذة كما كنت اعتقدانا منذ اسبوع مضى
ولكنني نظرت بعيني حاوياً اخرج ثلاثة ثعابين
بجرد تلاوتها

ج ونحن ايضاً رأينا حاوياً اخرج
ثعبانين من مكتبنا ولم نعرف كيف اخرجهما

مسألة منها بالاسهاب لو استطعنا ذلك ولكننا نقول بالايجاز ان الصحافة الآن شأنًا كبيرًا في القطر المصري وقد صار جمهور كبير من الامة يعتمد على الجرائد لبث شكواه لدى ولاية الامور وصار كثيرون من ولاية الامور يلتفتون الى ما نقوله الجرائد فيمنع صغارهم عن الحيف ويهتّم كبارهم برفع الظلمات وهذا نراه كل يوم تقريبًا. وصار اهل الزراعة وهم اكثر اهالي القطر يعرفون من الجرائد اسعار حاصلاتهم يومًا فيومًا فلا يخدعهم تاجر ولا سمسار. عدا ما في الجرائد من الاخبار والفوائد التي توسّع المعارف وتنوّر العقول. وما في الصحافة من غث يزلّ بناموس "بقاء الانسب" ولهذا مات كثير من الصحف التي لا محلّ لها وغير بعضها لهجته حتى تناسب احوال العصر. اما المجالات العلمية والادبية فلا ينكر فوائدها عاقل ونصيحتنا لرفقاء اصحاب الجرائد والمجلات ان لا يشعروا شيئًا الاّ وهم واثقون تمام الثقة انه صحيح وان من نشره فائدة ما. فاذا فعلوا ذلك زادت فائدتها اضعافًا. ولا شبهة عندنا ان في الشرق نهضة ادبية حقيقية تظهر جليًا من مقابلة حاله الآن بحاله منذ مئة عام او مئتي عام وستزيد ارتقاء ولكن ارتقاءها بطيء ولا سيما في الامم المرتبطة بعادات ومعتقدات تصدّها عن اقتباس العلوم والفنون الحديثة او تصدّ نساءها على الاقل. ومن المقرر ان

مع اعتقادنا انه خادع. وبعد البحث الطويل على غير طائل اعطيناه ريبًا لا حتى كشف لنا سر صناعته وهو انه كان يخفي الثعابين في طيات ثيابه ثم يخرجهم من جيبه او مكويفه تنفوخ نفوخ الوصف اما الكلام الذي يقوله فلا تذكر الفاظه ولكن لا علاقة له باظهار الثعابين وما هو الاّ من التويه والتدجيل

مسائل الجامعة

بعث الينا حضرة رصيفنا الكريم منشيء الجامعة بالمسائل التالية وبعث بها ايضا الى بعض الكتّاب طالبًا منهم ان يجيبوه عنها كلها او بعضها والمسائل هذه

- ١ ما رأيكم في الصحافة الحاضرة من مجلات وجرائد وكم واحدة تطالعون منها
- ٢ ما الواجب صنعته في رأيكم لتحسين حالتها وهل لديكم نصيحة خصوصية لها
- ٣ هل تعتقدون بوجود نهضة ادبية حقيقية في الشرق وهل هي جارية على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجيًا
- ٤ هل لديكم نصيحة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصًا العثمانيين كالدعوة الى ادخال شيء جديد ونبذ شيء قديم
- ٥ ما رأيكم في مجلة الجامعة بنوع خصوصي وهل لديكم نصيحة خصوصية لها ولا يسعنا الوقت ان نجيب عن كل

الحكومة لا تستطيع ان تعلم الامة وترقيها واعتماد الامة على حكومتها من هذا القبيل مجلبة للفشل ولكن الحكومة تستطيع ان تساعد الامة على التعلم والترقي ويجب عليها ان تساعدنا فتتفق على ترجمة الكتب ونشرها وتعليم النابغين من اولاد الفقراء مجاناً ومساعدة الجماعات التي تنشئ المدارس ومكافأة من

ينفع بلاده بتأليف او اكتشاف او استنباط. وربما كان خير ما نفعله ان نرسل وفداً الى بلاد اليابان الفتية يبحث عن سرارتها حتى صارت قرية لانكثرا ثم يعود اليها بالخبر اليقين ونصح للجامعة ان تثابر على خطتها فلا تذخر وسعاً في نشر الفوائد

بالاحكام العلمية

آثار الاسكندرية

وجد في الشهر الماضي صندوق صغير من الرصاص في الاسكندرية قرب الشاطئ حيث حمامات زورو ابتاعه الاستاذ بوتي الاركيولوجي وفتح فوجد فيه درجاً قديماً وجنينين مصبرين وفي الدرج عشرون سطرّاً باليونانية من اواخر القرن الاول بعد المسيح وهو اول درج من البردي وجد في الاسكندرية

ووجد فيها ايضاً مدافن قديمة خاصة بالجزيرة التي كانت فيها منارة الاسكندرية عليها نقوش بدية على نسق بمباي في احدها صور البوارج المصرية ذات الابرار العظيمة التي اقتبس مثلها الرومان في بناء بوارجهم بعدما تغلبوا على كليوباترا

دواء الحمى الملارية

اكتشف الميسوارمان غوتيه اكتشافاً عظيم الشأن وهو ان حقن الدم بقليل من مثيل ارسنات الصودا sodium methylarsenate دواء شاف من الحمى الملارية وذكر انه عالج تسعة بهذا العلاج فشفوا وكانوا قد اصابوا بالحمى في افريقية ولم يستفيدوا من الكينا ولو بجرعات كبيرة وخص دمهم بعد المعالجة فوجد انه تنقي من الميكروب (الماتوزوي) الذي يسبب هذه الحمى. وهذا العلاج يزيل فقر الدم الذي ينشأ عنها ايضاً. ومن رأي المكتشف انه يجب استعمال هذا الدواء بدل الكينا في معالجة الحمى الملارية الخبيثة

آثار الكرنك

كان المسيو لغرين يرفع الانقاض من هيك الكرنك لاعادة اعمدته الساقطة فوجد صفيحة من الحجر عليها اسم اوسترنسن الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة ثم وجد صفائح اخرى عليها كتابات كثيرة تمتد تاريخها الى اقدم مما وجد في الكرنك بالف سنة والظاهر انها من بقايا قصر لاوسترنسن الاول هدمه ملوك الرعاة ثم لما قام الملك تطمس العظيم مهد الارض وهو لا يدري ما فيها وبني عليها هيكلاً فحفظت هذه الآثار تحته

آثار طيبة

وجد المستر نيوبوري في طيبة قصرًا صيفيًا للملك امنهوتب الثالث لم يبق منه الا اراضي غرفه وهي مزدانة بصور كثيرة تمثل اساليب الصيد الوانها بهية كأنها وضعت امس مع انه مضى عليها الآن ٣٥٠٠ سنة

بئر الهرم الاكبر

تحت الهرم الاكبر من اهرام الجيزة غرفة كبيرة يوصل اليها من السرداب الموصل الى غرفة الملك بيئر تنزل اولاً عمودياً ثم تميل الى ان تصل اليها على عمق مئتي قدم وقد كثير الردم في هذه البئر وفي مدخل الغرفة حتى صار الوصول الى الغرفة متعذراً ولم يكن كذلك منذ ثلاث وعشرين سنة حينما زرنا هذا القطر اول مرة لاننا رأينا البعض نزولوا اليها

امامنا حينئذ . وقد اهتم المستر كوفتنن الآن بازالة الردم من البئر ومدخل هذه الغرفة فصار الوصول اليها سهلاً وأطلق الهواء في السرداب الموصل الى غرفة الملك والمملكة فلم يعد الداخل اليهما يجد مشقة من حرارة الهواء وفساده

طفلة مريض

كتب الينا من سورية ان ابنة ولدت في قرية ابل السقي ولها ثديان كبيران يدزان لبناً وكلما اجتمع اللبن فيهما اكثرت من البكاء حتى يجلبا فتسكت. ولهذا النادرة امثال لكنها قليلة جداً

زلزلة شماخا

اصيبت مدينة شماخا غربي بحر قزوين بزلزلة عنيفة قتلت ٥ آلاف من الاهالي وتركزت ثلاثين الفا بلا مأوى . شعر السكان بالهزة الاولى نصف النهار في الثالث عشر من فبراير ولم تكن الا ثواني قليلة حتى هدمت الكنيسة الارثوذكسية والجوامع وكل المباني العمومية ومئات من بيوت السكان وتوالى الزلازل اياماً . والزلازل كثيرة التردد على تلك البلاد لانها كانت بركانية في غابر الزمان

ذهب كلنديك

بلغ الذهب الوارد الى اميركا مستخرجاً من كلنديك في العام الماضي اربعة ملايين

ونصف مليون من الريالات وبلغ ثمن المواد من مؤونة ونحوها التي أرسلت الى العمال في تلك البلاد في العام الماضي خمسة ملايين ونصف من الريالات فالتسارة على طلاب الذهب مليون من الريالات

تعدد الرسائل البرقية

استنبت الاستاذ وليم دراب استاذ الطبيعيات في مدرسة كولورادو الجامعة اسلوباً لارسال ثنائي عشرة رسالة برقية على سلك واحد في وقت واحد فترسل عليه ذهاباً واياباً من غير ان يعترض بعضها بعضاً

الاولتوموبيل في روسيا

استخدمت حكومة روسيا الاولتوموبيل لنقل البريد في بلاد القوقاس بدل خيل البريد وانشأت مستودعات للكهربائية على كل عشرة اميال حق تملأ المركبات بها

الاولتوموبيل والغبار

من رأى الاولتوموبيل جارياً في طريق الجزيرة او الاهرام والغبار يتطاير من عجله فيسد منافس الفضاء يسر بان جمعية الاولتوموبيل الانكليزية عينت جائزة مئة واربعين جنيهاً لمن يكتشف اسلوباً يمنع ثوران الغبار من سير الاولتوموبيل . فعسى ان يوفق احد الى هذا الاكتشاف ليزول من الاولتوموبيل ضرر كبير لا يمكن الاغضاء عنه

الزجاج في شوارع باريس

عرض بعضهم على مجلس باريس البلدي منذ سنة من الزمان ان يرصف شوارعها بانواع الزجاج بدل الحجر والاسفلت فوضي المجلس البلدي بذلك مشروطاً انه اذا لم يبق الزجاج المدة المفروضة فالذين وضعوه يوزعون ويردون رصف الشوارع كما كان . والظاهر ان الزجاج وفي بالغرض المطلوب لان المجلس البلدي نفسه اخذ يرصف بعض الشوارع الآن . وكان اكبر اعتراض على الزجاج ان الخيل تزلق عليه في ايام المطر ولكن وجد بالاختبار انها لا تزلق عليه اكثر مما تزلق على الاسفلت . فاذا وفي بالغرض من كل وجه حق ان يجرب في هذه العاصمة وفي الاسكندرية لان لا شيء يفوقه في جمال المنظر وسهولة التنظيف

المطر بالكهربائية

حاول الاوربيون والاميريكون مراراً ايقاع المطر باطلاق المواد المتفرقة كالبارود والديناميت فلم يفعلوا وقد حفظ لاهل يابان ان يوقعوا المطر من بخار الهواء بطريقة علمية صحيحة وهي انفاذ الكهرباء الى هواء الجو حتى يتكاثف بها بخار الماء ويقع مطراً . وقد جربوا ذلك حديثاً فشرعوا في بث المجاري الكهرباء من الساعة الحادية عشرة ليلاً فلم تكن الساعة التاسعة من اليوم التالي حتى

يفتح في العام المقبل لمن يصنع احسن بالون يسار فيه في الهواء

درجة حرارة الشمس

شرح الاستاذ تشارلس ولسن منذ عشر سنوات في عمل التجارب المختلفة لكي يعرف درجة حرارة الشمس بالتدقيق فوجد انها تعادل ٦٢٠٠ درجة بميزان سنتغراد او ١١١٩٢ درجة بميزان فارنهایت. واذا اضيف الى ذلك مقدار ما يمتصه جو الشمس من حرارتها الاصلية فدرجة هذه الحرارة ٦٦٠٠ درجة بميزان سنتغراد لان جو الشمس يمتص منها ٤٠٠ درجة

تلغراف مركوني

لم تبق شبهة في نجاح تلغراف مركوني اي التلغراف الذي ترسل به الاشارات الكهربائية من غير اسلاك معدنية وقد وردت الانباء البرقية من اميركا مشيرة الى ان حكومة كندا عرضت على البارلمنت الذي فيها مقابلة عقدتها مع مركوني تعهدت فيها بان تعطيه ثمانين الف ريال لينشئ خدمة تلغرافية بين اوربا واميركا بشرط ان لا تزيد اجرة الكلمة على غرشين. فتم اقتنع رجال الحكومة ورجال الاشغال بفائدة اكتشاف ونفعه التجاري فهو مفيد حتما ولا يبقى مانع يمنع انتشاره

تلبت النجوم واخذ المطر يهطل فوق الامة التي كانت التجارب فيها وتكرّر وقوعه قبل الظهر وبعده الى الساعة التاسعة مساءً وانتشر على اميال كثيرة. وفي عزم العلماء الذين جربوا هذه التجربة ان يعيدوا التجارب مراراً حتى تثبت لهم صحتها

بالون سلطان مراکش

امر سلطان مراکش مولاي عبد العزيز فصنع له بالون من النوع المقيّد يسع الف يرد مكعب من الغاز ويحمل ثلاثة انفس ويصعد بهم الى علو الذي قد اى طول الحبل المقيّد به. وله مركبة من انحر المركبات فيها تلفون متصل بالارض وهو مائل غازاً من انابيب فيها غاز الهيدروجين المكثف. وقد صنع هذا البالون في فرنسا وكما فرغت الانابيب من الغاز اعيدت الى فرنسا لتماماً ثانية. ونخاف ان يكون دهاء الاوربيين جارين في خطة اخوانهم الذين حسّنوا لاسماعيل باشا الخديوي الاسبق اتفاق الاموال الطائلة على مثل هذه الطوائف حتى تقيّد البلاد بقيود من الذهب ويصير لاوروبا الشأن الاكبر فيها بدعوى المحافظة على اموالها ومصالحها

اكبر جائزة لاجسن بالون

عينت شركة اميركية مئتي الف ريال جوائز تعطيها في معرض سنت لويس الذي

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين

رجال المال والاعمال (مصوِّرة)	٢٠١
لورد دفرن (مصوِّرة)	٢٠٩
عروسة النيل	٢١٧
بحيرة طبرية وواقعة حطين . للامير شكيب ارسلان	٢٢٦
الاعنصاب ومضاره . لتوفيق افندي كلداني	٢٣٣
عمران دمشق . لمحمد افندي كردعلي	٢٣٥
فتح المكسيك	٢٤٦
الشاذون وفضلهم . لنسيم افندي برباري	٢٥٣
اللغة المكتوبة واللغة المحكية . لاسعد افندي داغر	٢٥٧
منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي خير الله	٢٦٣
الصحيح من الفراسة	٢٧٠
سكة العراق (مصوِّرة)	٢٧٦



باب المراسلة والمتاظر * نوامان عجيبان . النمو في الصيف والشتاء	٢٧٧
باب الزراعة * اسماد الكيماوي والمزروعات . السماد النيتروجيني . انواع الاسمة . تجهيز ارض القطن . جوائز المعرض	٢٧٦
باب التقريظ والانتقاد * دليل المسافرين . ثمانية عشر يوما في صعيد مصر الطب الحديث . رواية هملت . الاستقلال . الشرق المصور . الوهابية . النتيجة الشرقية	٢٨٧
باب المسائل * لغة النوم . عدوى السل . الشفاء من السل . من خاف قايين . صحة علامات الفراسة . اسباب اللثغة . شعر الاقارع . عيب خلقي . دواء الامساك . السهك واللبث . فائدة الخمر . كذب الحواة	٢٩٩
باب الاخبار العلمية * دواء الحمى الملاربية . آثار الاسكندرية . آثار الكرنك . آثار طبية . بحر الهرم الاكبر . طفلة مريض . زلزلة شاخا . ذهب كلنديك . تعدد الرسائل البرقية . الاوتوموبيل في روسيا . الاوتوموبيل والغبار . الزجاج في شوارع باريس . المطر بالكهربائية . بالون سلطان مراکش . اكبر جائزة لاحسن بالون . درجة حرارة الشمس . تلغراف مركوبي	٣٠٠